كتابك

١٤٣

د. فوزى فهمى

الدراما الروسية



دار المعارف



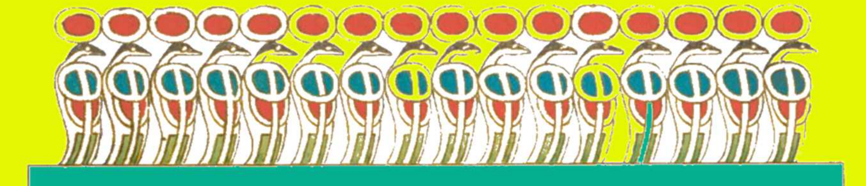
هــذا الكتــاب

عرض تاريخي للدراما الروسية منذ نشأتها في نهاية القرن السابع عشر حتى بدء الثورة الروسية .

ويتضمن الكتاب أنواع هذه الدراما الشعبية والكنسية والمدرسية ، وكيف مهدت إلى ظهور التراجيديا والكوميديا والفودفيل المنقول عن فرنسا ، من خلال أعمال كبار الكتاب الروس .

م ١٠





ندعوكم لزيارة قنواتنا على اليوتيوب

قناة الإرشاد السياحي



قناة تهتم بالحضارة المصرية وتحتوي على فيديوهات تشرح مواقع الحضارة المصرية القديمة من معابد ومقابر وآثار منقولة في المتاحف بإضافة إلى العديد من الكتب المسموعة على اليوتيوب مصحوبة بالتعليق ووهي عن التاريخ المصري بوجه عام من تاريخ قديم وتاريخ مصر في العصور الاسلامية

قناة الكتاب المسموع



الكتاب المسموع

قناة تهتم بالقصص القصيرة والروايات الطويلة سواء للكتاب العرب أو الأجانب ومنها قصص بوليسية ورعب واجتماعية وخيالية وواقعية وسير ذاتية وأطفال

صفحة تحميل الكتب



كتب سياحية و أثرية و تاريخية عن مصر

@AhmedMa3touk · كتاب





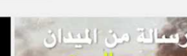
الكتاب المسموع - قصص قصيرة - روايات

731 مشتركًا

مشترك | CSV EXPORT | ADD COMPETITOR

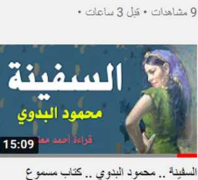
الصفحة الرئيسية | الفيديوهات | قوائم التشغيل | القنوات | مناقشة | لمحة

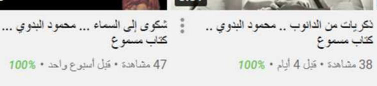
الفيديوهات المُحمّلة | تشغيل الكل | Top Keywords | الترتيب حسب






- 6:07 — رسالة من الميدان .. محمود البدوي .. كتاب مسموع — 9 مشاهدات • قبل 3 ساعات •
- 7:22 — صرخة في الليل .. محمود البدوي .. كتاب مسموع — 41 مشاهدة • قبل يوم واحد • 100%
- 12:01 — الخنزير .. تأليف محمود البدوي .. كتاب مسموع — 50 مشاهدة • قبل يومين • 100%
- 8:52 — الغريق .. محمود البدوي .. قصة قصيرة — 38 مشاهدة • قبل 3 أيام • 100%



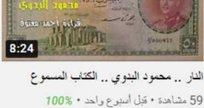



- 15:09 — السفينة .. محمود البدوي .. كتاب مسموع — 59 مشاهدة • قبل 4 أيام • 100%
- 5:01 — ذكريات من الدانوب .. محمود البدوي .. كتاب مسموع — 38 مشاهدة • قبل 4 أيام • 100%
- 13:43 — شكوى إلى السماء ... محمود البدوي ... كتاب مسموع — 47 مشاهدة • قبل أسبوع واحد • 100%
- 5:23 — دارلنج ... محمود البدوي .. كتاب مسموع — 55 مشاهدة • قبل أسبوع واحد •









- 18:43 — العزبة الجديدة ... محمد البدوي .. كتاب مسموع — 124 مشاهدة • قبل أسبوع واحد • 100%
- 15:25 — العذراء والليل .. محمود البدوي .. الكتاب المسموع — 75 مشاهدة • قبل أسبوع واحد • 100%
- 3:52 — فاعل خير .. محمود البدوي .. قصص قصيرة — 44 مشاهدة • قبل أسبوع واحد • 100%
- 8:24 — النار .. محمود البدوي .. الكتاب المسموع — 59 مشاهدة • قبل أسبوع واحد • 100%



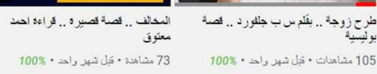



- 12:38 — حارس المحطة .. محمود البدوي .. كتاب مسموع — 87 مشاهدة • قبل أسبوعين • 100%
- 13:05 — دروس خصوصية .. محمود البدوي .. قراءة أحمد معتوق — 82 مشاهدة • قبل أسبوعين • 100%
- 17:40 — ليلة في بوخاريست ... محمود البدوي ... قصة رومانسية — 96 مشاهدة • قبل 3 أسابيع • 100%
- 30:36 — حلم الموت .. قراءة أحمد معتوق .. كتاب مسموع — 107 مشاهدات • قبل 3 أسابيع • 100%






- 48:44 — تابوت الموتى .. قصة مسموعة .. قراءة احمد معتوق — 130 مشاهدة • قبل 3 أسابيع • 100%
- 32:13 — الطاعة العمياء .. قصة بوليسية .. قراءة أحمد معتوق — 123 مشاهدة • قبل 3 أسابيع • 100%
- 34:20 — الساحرة .. س ب جلفورد .. قراءة أحمد معتوق .. كتاب مسموع — 156 مشاهدة • قبل 4 أسابيع • 100%
- 16:40 — الخادم الذي لم يقتل .. قصة بوليسية .. قراءة أحمد معتوق — 95 مشاهدة • قبل 4 أسابيع • 100%



- 22:57 — طرح زوجة .. بقلم س ب جلفورد .. قصة بوليسية — 105 مشاهدات • قبل شهر واحد • 100%
- 10:46 — المخالف .. قصة قصيرة .. قراءة احمد معتوق — 73 مشاهدة • قبل شهر واحد • 100%
- 36:22 — جزيرة الكنز ... قصة بوليسية .. ريتشارد هاردينج .. كتاب مسموع — 110 مشاهدات • قبل شهر واحد • 100%
- 33:19 — المقبرة ... قصة بوليسية .. كتاب مسموع — 138 مشاهدة • قبل شهر واحد • 100%








سر الصندوق .. قصة بوليسية .. قراءة أحمد معتوق
132 مشاهدة • قبل شهر واحد • 100%

في سيدي العتريس .. يوسف السباعي .. الكتاب المسموع
113 مشاهدة • قبل شهر واحد • 100%

في المبتديان ... يوسف السباعي .. الكتاب المسموع
99 مشاهدة • قبل شهر واحد • 100%

في الناصرية ... يوسف السباعي .. كتاب مسموع
141 مشاهدة • قبل شهر واحد • 100%







في الخليج المصري ... يوسف السباعي ... قصص قصيرة
137 مشاهدة • قبل شهر واحد • 100%

في زين العابدين .. يوسف السباعي .. كتاب مسموع
117 مشاهدة • قبل شهر واحد • 100%

في حارة السيده ... يوسف السباعي ... الكتاب الموسع
130 مشاهدة • قبل شهر واحد • 100%

في البغالة ... يوسف السباعي ... كتاب مسموع
146 مشاهدة • قبل شهر واحد • 100%



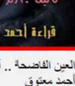

في سيدي الحبيبي ... يوسف السباعي .. كتاب مسموع
103 مشاهدات • قبل شهر واحد • 100%

في المواردي ... يوسف السباعي .. كتاب مسموع
99 مشاهدة • قبل شهر واحد • 100%

في سيدي زينهم ... يوسف السباعي ... كتاب مسموع
139 مشاهدة • قبل شهر واحد • 100%

في جنينة ناميش .. يوسف السباعي .. الكتاب المسموع
132 مشاهدة • قبل شهر واحد • 100%





في ابو الريش .. يوسف السباعي
127 مشاهدة • قبل شهر واحد • 100%

سر المسحوق الوردي - من الخيال العلمي - قراءة أحمد معتوق
100 مشاهدة • قبل شهر واحد • 100%

القصر المسكون ... دونالد هوينج .. الكتاب المسموع
140 مشاهدة • قبل شهر واحد • 100%

العين الفاضحة .. آرثر بروجيس .. قراءة أحمد معتوق
61 مشاهدة • قبل شهرين • 100%







سخرية القدر.. كارول مايرز - كتاب مسموع
85 مشاهدة • قبل شهرين • 100%

المزحة القاتلة
97 مشاهدة • قبل شهرين • 100%

رحلة غرامية .. قصة من الأدب الأمريكي
100 مشاهدة • قبل شهرين • 100%

آلة الزمن ... قصة قصيرة .. قراءة أحمد معتوق
97 مشاهدة • قبل شهرين • 100%





آلة الجنون ... ليو إليس .. قراءة أحمد معتوق
52 مشاهدة • قبل شهرين • 100%

حتى يفرق الموت بيننا - كارول مايرز - قصة قصيرة
56 مشاهدة • قبل شهرين • 100%

عندما يموت هذا الرجل - قصة قصيرة
76 مشاهدة • قبل شهرين • 100%

كأس وليمونة ... محمود تيمور ... قصة قصيرة
88 مشاهدة • قبل شهرين • 100%






على الحياد ... محمود تيمور ... قصة قصيرة .. الكتاب المسموع
88 مشاهدة • قبل شهرين • 100%

ليلة العرس ... محمود تيمور ... قصة قصيرة
108 مشاهدات • قبل شهرين • 100%

الجنتلمان ... محمود تيمور ... قصة قصيرة
86 مشاهدة • قبل شهرين •

كتاب مسموع ... نفحة من الايمان (المجموعة القصصية كاملة) ... يوسف...
256 مشاهدة • قبل شهرين • 100%





قناة الإرشاد السياحي في مصر

38.4 ألف مشترك

الصفحة الرئيسية | الفيديوهات | قوائم التشغيل | المنتدى | القنوات | لمحة

الفيديوهات المُحمّلة تشغيل الكل

الترتيب حسب



نائب عزرائيل .. الرواية كاملة .. يوسف السباعي .. كتاب مسموع

2.8 ألف مشاهدة • قبل 4 أيام • 92%



كتاب مسموع .. نفحة من الإيمان (كاملا) .. يوسف السباعي ..

584 مشاهدة • قبل 6 أيام • 85%



المومياوات المصرية .. اعجب ما يمكن أن تشاهد أو تسمع .. !!

5.4 ألف مشاهدة • قبل أسبوعين • 95%



زيارة للجنة والنار ... مصطفى محمود .. كتاب مسموع

36 ألف مشاهدة • قبل شهر واحد • 92%



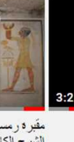
معابد جزيرة فيلة .. درة المعابد المصرية .. الشرح الكامل ل 400 مشهد بالصور

3.5 ألف مشاهدة • قبل شهر واحد • 97%



كتاب الخروج من التابوت (قصة) .. مصطفى محمود .. كتاب مسموع

28 ألف مشاهدة • قبل شهرين • 91%

كتاب كلمة السر (كاملا) - مصطفى محمود - كتاب مسموع

30 ألف مشاهدة • قبل شهرين • 93%

مقبرة رمسيس التاسع .. وادي الملوك .. الشرح الكامل لأعجب رحلة في العالم...

61 ألف مشاهدة • قبل شهرين • 94%



كتاب مسموع 12 إمرأة - المجموعة كاملة ليوسف السباعي

2.6 ألف مشاهدة • قبل 3 أشهر • 97%

كتاب عصر القرود (النسخة الكاملة) - مصطفى محمود - كتاب مسموع

51 ألف مشاهدة • قبل 3 أشهر • 95%




كتاب مسموع ساحر - فانتازيا فرعونية - محمد عفيفي

3.6 ألف مشاهدة • قبل 4 أشهر • 98%



المتحف المصري (5) كنوز الدولة الحديثة - العصر الذهبي

4.1 ألف مشاهدة • قبل 4 أشهر • 95%

كتاب الشيطان يحكم (النسخة الأصلية) - مصطفى محمود - كتاب مسموع

264 ألف مشاهدة • قبل 4 أشهر • 94%



بلاد النوبة - كتاب مسموع

1.7 ألف مشاهدة • قبل 5 أشهر • 97%



معبد حتحور بدندرة - الشرح الكامل الموثق بالرسومات و الصور

8.4 ألف مشاهدة • قبل 5 أشهر • 98%



كتاب الأهرامات المصرية (كامل) - احمد فخري - كتاب مسموع

17 ألف مشاهدة • قبل 6 أشهر • 98%

كتاب القاهرة القديمة و أحياؤها (كتاب مسموع)

4.5 ألف مشاهدة • قبل 6 أشهر • 98%

كتاب موسوعة تاريخ مصر الإسلامية (كتاب مسموع)

12 ألف مشاهدة • قبل 6 أشهر • 97%



عودة المومياء The Mummy 2001 Returns (ملخص الفيلم) - أفلام عن...

3.9 ألف مشاهدة • قبل 7 أشهر • 100%





فيلم المومياء The Mummy 1999 (ملخص الفيلم) - افلام عن مصر

5.8 ألف مشاهدة • قبل 7 أشهر • 93%






1:53:17
كتاب الشفاعة كاملا - مصطفى محمود (كتاب مسموع)
19 ألف مشاهدة • قبل 7 أشهر • 96%

3:09:08
شرح معبد حتشبسوت بالدير البحري تفاصيل المناظر بالصور
15 ألف مشاهدة • قبل 7 أشهر • 96%

2:44:16
تاريخ مصر تحت حكم الرومان كاملا - فاروق القاضي (كتاب مسموع)
8.6 ألف مشاهدة • قبل 8 أشهر • 97%

2:10:26
كتاب تاريخ مصر في عصر البطالمة - إبراهيم نصحي (كتاب مسموع)
8.7 ألف مشاهدة • قبل 8 أشهر • 97%





31:26
قصر البارون الجزء الأول اللعنة
3.7 ألف مشاهدة • قبل 9 أشهر • 96%
ترجمة مصاحبة

13:29:39
كتاب مصر الفرعونية كامل - أحمد فخري - التاريخ المصري (كتاب مسموع)
75 ألف مشاهدة • قبل 9 أشهر • 97%

2:23:33
كتاب الخروج من الجسد (كتاب مسموع)
12 ألف مشاهدة • قبل 9 أشهر • 95%

1:05:52
مجموعة زوسر والهرم المدرج بسقارة - الشرح الكامل
21 ألف مشاهدة • قبل 10 أشهر • 97%




2:31:43
كتاب أخناتون كامل (كتاب مسموع)
14 ألف مشاهدة • قبل 10 أشهر • 96%

1:46:33
المتحف المصري (4) الدولة الوسطى وكنوزها بالمتحف
28 ألف مشاهدة • قبل 10 أشهر • 96%

4:24
أمنمحات الأول ولد فقيرا وعاش عظيما وقتل وحيدا
2.2 ألف مشاهدة • قبل 11 شهرًا • 95%

10:33
حاملة القرابين أرشق عارضة أزياء من مصر القديمة
1 ألف مشاهدة • قبل 11 شهرًا • 94%



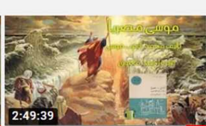



8:23
تمثال منتوحتب الثاني (صدفة أم نبوءة تحققت) من الجزء الرابع المتحف...
2.8 ألف مشاهدة • قبل 11 شهرًا • 95%

2:29:29
كتاب رحلتي من الشك إلى الإيمان - مصطفى محمود (كتاب مسموع)
69 ألف مشاهدة • قبل 11 شهرًا • 96%

2:53:41
كتاب الله و الانسان كامل - مصطفى محمود (كتاب مسموع)
216 ألف مشاهدة • قبل 11 شهرًا • 93%

2:21:40
معبد إدفو الشرح الكامل الموثق بالرسومات و الصور
14 ألف مشاهدة • قبل 11 شهرًا • 96%





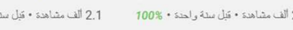
2:49:39
كتاب موسى مصريا كاملا - نظرية فرويد في التاريخ اليهودي (كتاب مسموع)
22 ألف مشاهدة • قبل سنة واحدة • 93%

1:08:39
رواية عودة مومياء (كتاب مسموع) - ألفريد هتشكوك
3.9 ألف مشاهدة • قبل سنة واحدة • 94%

1:30:50
كتاب معنى الاحلام و غرائب أخرى (كتاب مسموع)
9.6 ألف مشاهدة • قبل سنة واحدة • 94%

1:56:23
كتاب الأشباح المشاغبة وغرائب أخرى (كتاب مسموع)
10 ألف مشاهدة • قبل سنة واحدة • 95%




19:50
كتاب عجائب الدنيا وغرائب القارات - (6) - قارة أستراليا (كتاب مسموع)
987 مشاهدة • قبل سنة واحدة • 100%

32:03
كتاب عجائب الدنيا وغرائب القارات - (5) - قارة أوربا (كتاب مسموع)
908 مشاهدات • قبل سنة واحدة • 100%

40:38
كتاب عجائب الدنيا وغرائب القارات - (4) - اسيا والقارة القطبية (كتاب مسموع)
2.3 ألف مشاهدة • قبل سنة واحدة • 100%

40:22
كتاب عجائب الدنيا وغرائب القارات - (3) - أمريكا (كتاب مسموع)
2.1 ألف مشاهدة • قبل سنة واحدة • 100%

اقرأ ١٤٣

رئيس التحرير أنيس منصور

د. فوزى فهمى

الدراما الروسية



دار المعارف

الناشر : دار المعارف - ١١١٩ كورنيش النيل - القاهرة ج . م . ع .

الدراما الشعبية الروسية

يمكننا القول : إن الدراما الروسية نشأت فى نهاية القرن السابع عشر وبداية القرن الثامن عشر ، إلا أن ذلك لا يعنى غياب الظاهرة المسرحية فى حياة الشعب الروسى قبل ذلك التاريخ : فقد عرفت روسيا منذ القرون الوسطى ما يسمى « بالدراما الشعبية » الشفاهية والتى بدورها استوعبت مجموعة العناصر المعتمدة على فنون العرض التى فى طقوس العادات والتقاليد الروسية القديمة مثل : احتفالات الزواج والغناء والتشخيص الجماعى ، وأيضا أهاجى ولهو البهاليل ، كل ذلك طورته « الدراما الشعبية » ملتقطة الأسس الجوهرية ، مثل : مبادئ الحوار وتجسيد وتشخيص الحدث والشخصيات ، وإن كان القصص الملحمى ومناظر المذابح والإعدام تبدلت فى الدراما الشعبية إلى هزل مضحك ، وراحت الشخصيات الكوميدية تسخر من القساوسة السكارى والنبلاء الشرهين والقضاة الظالمين !

تتسم « الدراما الشعبية » بخاصية ثبات الحبكة والموضوع ، وفى الإمكان إضافة مشاهد جديدة وجمل حوارٍ وأغانٍ تعكس الأحوال المحيطة ، الأمر الذى جعلها تتصف بالضعف فى تراكيب علاقتها ، إلا أن الاهتمام بالنسبة « للدراما الشعبية الروسية » يكاد ينحصر فى صياغة

الحوار المقترب بشكله إلى النوادر الشعبية ، على أن ذلك لا يعنى خلو اللغة فيه من البلاغة : فالحوار يستخدم المجاز والاستعارات الشائعة ، وكذلك المفارقة اللفظية والجناس واللعب بالطباق .

ويضم رصيد « الدراما الشعبية الروسية » نماذج عشرة تختلف نسخ رواياتها من منطقة إلى أخرى ، بل وفى المنطقة الواحدة ؛ حتى وصل فى أشهر هذه الدرامات « القيصر مكسيمليان » إلى اثنتين وعشرين نسخة مختلفة .

يدور الصراع الأساسى فى الدراما « القيصر مكسيمليان » بين القيصر وابنه العاق « أودولف » حيث تناهى إلى الأب أن ابنه قد ارتد عن الوثنية ، فيعاقبه القيصر ، وقد استخدم هذا الصراع فى بعض الفترات كترديد للأحداث الجارية وقت ذاك من حيث العلاقة بين بطرس الأكبر وابن القيصر أليكسى ، وبمرور الوقت فإن المدلول الفكرى لهذه الدراما تغير فى صيغها المتعددة .

أما دراما « الزورق » فالموضوع الرئيسى فيها يدور حول عصبة من لصوص على رأسها « أتامانوم » و « يساول » وفى أثناء ملاحتها فى نهر الفولجا تطلع « يساول » فى أنبوب بصرى ، فاكتشف وجود قرية ، فأخبر « أتامانوم » بما رآه ، وعندما وصل اللصوص إلى الشاطئ وجدوا ضيعة كبيرة ، فنزلوا إليها وأغاروا على ديار الملاك فيها . وتختلف الروايات فيما تم بعد ذلك .

وقد استخدمت « الحملة النهرية » أيضا تلميحاً لأحداث تاريخية ملموسة مثل الحملة السيبيرية « لا يرماك » والحملة الإسترخانية « لرازين » وغيرها ، وقد كان لما حفلت به هذه الدراما من أغانٍ متمردة وأحداث درامية انتقادية أثر فى تنمية فكرة العصيان ، فما كان من البوليس القيصرى إلا أن منع عروضها أكثر من مرة .

تستخدم « الدراما الشعبية الروسية » الحوار الفردى والثنائى والأغانى ، وتتكون من مجموعة مناظر وأحداث تطور خط الموضوع ، وإن لم يكن هناك زمان أو مكان ، بل يعلن عنهما فى أثناء الحديث ، أما شخصياتها فكانت ذات ملامح محددة لا تتغير طوال المسرحية .

وقد أصبحت أساليب « الدراما الشعبية الروسية » من غنائيات وموضوعات فولكلورية حصيلة للاستخدام بالنسبة لكتاب المسرح ، وبخاصة فى أعمال كل من (ا . س . بوشكين) و (ا . ن . إستروفسكى) و (م . د . تولستوى) .

الدراما الروسية الكنسية

لم تشغل الدراما الكنسية – خلافاً لما حدث فى مسرح غربى أوربا – مكاناً هاماً فى تاريخ المسرح الروسى ، فمثلا : نجد أن الفصول الكنسية التى تقدم فى القرن السادس عشر ، مثل فصل «غسل الأرجل» الذى يعتمد على القصة الإنجيلية عن الأمسية السرية التى قام فيها السيد المسيح بغسل أرجل تلاميذه ، ثم فصل « موكب الجحاس » الذى كان يقوم البطرك والقيصر بالتشخيص فيه يوم أحد السعف ، فبرغم أن هذين الفصلين تمتعا بالعرض المسرحى ، فإن دواعى عرضهما لم تكن امتثالاً لأبعاد دينية طقسية ، وإن الدراما الروسية نظراً لما تحويه من مشاهد كوميدية مشبعة بعناصر بهلوانية محلية – تدور بين اثنتين من النسوة الخشنات . والمعروف أن هذا الفصل مأخوذ عن قصة وردت فى الإنجيل عن فتيان ثلاثة رفضوا أن يسجدوا لأصنام الملك الآشورى « بختنصر » ، فقذف بهم فى أتون مشتعل ، لكن الله أرسل لهم ملاكاً لإنقاذهم ! .

الدراما المدرسية الروسية :

نشأت الدراما المدرسية فى حوالى سبعينيات وثمانينيات القرن السابع

عشر حيث اقتبست بعض موضوعات « الفصول الكنسية » وتعتبر دراما المطران ديمتري روستوف (١٦٥١-١٧٠٩م) عن ميلاد المسيح من أحسن الأعمال المبكرة لهذا النوع من الدراما ، وتستخدم « الدراما المدرسية » المزج بين الأحداث الإنجيلية وموضوعات العهد القديم ، وكذلك بين الشخصيات : فنرى شخصيات مجازية مجردة مثل « الرذيلة والكبرياء والحقيقة » إلى جانب شخصيات تاريخية مثل « الإسكندر المقدونى ونيرون » وأيضا شخصيات أسطورية مثل « مارس الخ » بالإضافة إلى شخصيات إنجيلية مثل « عيسى زهير ودس وغيرها » .

وتتكون « الدراما المدرسية » من مقدمة وثلاثة فصول أو خمسة وذات أسلوب يتصف بالحذلقة الخطابية مخالفة بذلك الأشكال المسرحية الأخرى مثل « الفصول الكوميدية » ، و « النمر الموسيقية الراقصة » و « الفصول التمثيلية التى تتناول مجريات الأمور » ، إلا أنها مع ذلك أكدت المثل العليا فى تلك الفترة أيام حكم الملكية المركزية ؛ كما عارضت جهل الكنيسة وعناد طبقة البويار .

ولقد استطاع الراهب الباحث الشاعر « سيمون بولوتسكى » (١٦٢٩-١٦٨٠م) أن يستعين- فى حدود الصياغة المقبولة لدى الكنيسة لشكل الدراما المدرسية - بالملامح الواقعية للحياة الروسية فى القرن السابع عشر ، ومع الأسف لم يصلنا من أعماله سوى مسرحيتين هما عن « الابن الضال » و « القيصر بختنصر والجسد الذهبى والفتيان

الثلاثة » والأخيرة رؤية جديدة للدراما الكنسية « الأتون المشتعل » .

ونرى فى « الدراما المدرسية » شخصيات نمطية وفردية غير أنها جميعاً فى إطار موضوع وتعقيدات حبكة مرسومة ، ويرجع ذلك إلى أن نظرية الدراما المدرسية قد بنيت كلية على أساس الكلاسيكية لشراح التعاليم الأرسطية .

كما شهد القرن السابع عشر- إلى جانب الدراما المدرسية- مسرحيات قدمت على مسرح بلاط القيصر إليكسى ميخائلوفتش شخصياتها الرئيسية مقتبسة من رصيد مسرحيات الكوميديين الإنجليز، واتسمت هذه المسرحيات بالنزعة التهذيبية الوعظية والإسقاط المعاصر للأحداث الجارية وقت ذاك ؛ كما أنها كانت تحوى نوعا من التضاد المتناوب بين المشاهد الدموية الخشنة والمشاهد البهلوانية ، وساعد إلى حد كبير « الاستهلال » و « الخاتمة » وكذلك الملاحظات المتأنية – على استيعاب العظة الأخلاقية وفهم المعنى السياسى المعاصر للمناظر التاريخية أو الإنجيلية المستمدة من الكتاب المقدس.

راجت فى أيام بطرس الأكبر « مسرحيات المديح الاحتفالية » ، وهى تلك المسرحيات التى لا ترتبط بمصادر دينية ، وتشمل شخصيات مجازية وحواراً حماسياً ومجموعات ومواكب كورسية وموسيقى وفواصل من التمثيل الإضافى ، وكان لهذه المسرحيات صدى على الأحداث السياسية الجارية ؛ إذ أنها تمجد نشاط بطرس الأكبر مثل فصل

« احتفال العالم الأرثوذكسى » ١٧٠٣ م والتى تصور نصر مارس الروسى « بطرس الأكبر » على الشرساء فى شخص « ليف شفيدسكى » .

وأيضا تطور « الفاصل الإضافى التمثيلى » فى أثناء حكم بطرس الأكبر ؛ إذ تسربت إليه عناصر قومية ، وهجاء لأعداد الجديدات البطرسية ، كما أن أكثر الفواصل الإضافية كتبت بلغة الحديث اليومى القريبة من لغة « ألعاب البهاليل » .

وقد اكتسبت « الدراما المدرسية » ملامح جديدة على يد « فيوفان بروكويوفتش » (١٦٨٦ – ١٧٣٦م) نصير الإصلاحات البطرسية ، وذلك فى مسرحيته التراجيكوميدية « الأمير فلاديمير الحاكم لبلاد روسيا السلافية من ظلام الكفر لنور الإنجيل مسوق إلى روح القدس ! » ١٧٠٢م. ونال موضوع تعميد روسيا طابعاً تنويرياً بوضوح تجاه الإكليروس : أى خدمة الدين ، أولئك المحافظين الواقفين ضد إصلاحات بطرس الأكبر .

أما آراء « فيوفان بروكوفتش » بقيمها الجمالية – فقد مهدت لظهور الأسس الفنية لكتّاب الدراما الروسية ، وإن جاءت متأخرة إلى حدما .

الدراما الروسية الكلاسيكية

يعتبر منتصف القرن الثامن عشر مرحلة جديدة فى تاريخ الدراما الروسية ؛ إذ إنه يرتبط بتكوين وازدهار الكلاسيكية الروسية ، وقد كانت البداية فى كتابة الدراما الكلاسيكية على يد كل من : ف . ك تريد ياكوفسكى (١٧٠٣ - ١٧٦٩ م) وم . ف لومونوسوف (١٧١١ - ١٧٦٥ م) وإن لم يصبح أى منهما رائداً للتراجيديا الكلاسيكية .

يُعَدُّ (ا . ب . سوماركوف (١٧١٧ - ١٧٧٧ م) مؤسس ومنظر للدراما الكلاسيكية الروسية ، حيث كتب تسع تراجيديات واثنتى عشرة كوميديا ، وصار إنتاجه هذا رصيد المسرح فى روسيا لخمسينيات وستينيات القرن الثامن عشر . ويمكن القول : إن تراجيديات سوماركوف لم تكن تعالج أموراً مجردة بقدر ماهى تعليق على الأحداث الجارية مستخدمة فى ذلك أسلوب التلميح . وبرغم ذلك تتهم تراجيديات ساماركوف نقديًّا بضعف المعنى الفنى لها ، ويرجع بعض النقاد ذلك لوجود القوانين الصارمة الخاصة بالبناء والتركيب بوعى وعقلانية شديدة ، وكذلك التصوير المجرد للشخصيات والتراخى فى تتابع الأحداث والإسهاب البيانى فى المناقشات ، إذ تنقسم كل شخصياته التراجيدية إلى فضلاء وأشرار دون ما ظلال للنغمة السائدة فى بناء هذه

الشخصيات حيث يلعب سوماركوف دائماً على التناقض بين الأسود والأبيض ، وتلك سمة عامة تعكس الارتباط الخاص بين كتّاب الدراما الروسية الكلاسيكية والوظيفة التعليمية .

وقد حاول سوماركوف فى البداية أن يخرج على ذلك الإطار من المطالب ! فنرى مثلا تراجيدياته الأولى مثل : « خوريف »(١٧٤٧ م) و «سيناف وتدوفور» (١٧٥٠ م) تنتهيان نهاية تراجيدية بالمعنى الفنى : أى بمصرع أو انتحار الأبطال الفضلاء ، إلا أن كل تراجيدياته الأخيرة تنتهى بصفة أخلاقية ، وإن كان ذلك يعد من تأثيرات الكلاسيكية الفرنسية فى القرن السابع عشر على كتاب الكلاسيكية الروسية وليس سوماركوف وحده .

فى تراجيديا « ديمترى الدعى »(١٧٧١ م) نرى البطل شخصية ذات بعد واحد كتلك التى نراها فى القصص الساذجة « فديمترى » يعتبر نموذجاً مجرداً أو مطلقاً بل وحرفياً لما يمكن أن نسميه (الوحش الذى يعتلى العرش) فقد جمع سوماركوف فى هذه الشخصية ما بين «كاليجولا » و « نيرون » ؛ إذ نرى « ديمترى » يحلم فى النهاية بأن يحرق موسكو كلها « من لى بمن يحرق المدينة كلها . . لتشتعل المدينة ولتتوهج النار المتمردة حتى تلمس السحاب » ، ثم يقتل نفسه ، « اذهبى أيتها الروح إلى الجحيم ولتظلى هناك إلى الأبد أسيراً . . . . آه ! لو هلك معى الكون كله » . وندرك عندئذ أن شخصية « ديمترى » ليست إنساناً حياً وإنما

صيغة كيمياوية للاستيراد .

لاقت مسرحيات سوماركوف إعجاباً من معاصريه حتى أنه كان يقارن نفسه بـ « راسين » و « موليير » وقد نجد بعض الشبه بين أبطاله وشخصيات « راسين » ولو أنها مستمدة من التاريخ الروسى .

أما الكوميديا الكلاسيكية الروسية فعند مقارنتها بزميلتها التراجيديا يانتبين أنها أكثر قرباً من الحياة عامة والصبغة المحلية الروسية بنوع خاص ، حتى لغتها لا تتصف بالتكلف والتصنع ، هذا برغم أن سوماركوف فى محاولته الأولى لخلق واستنباط الكوميديا الهجائية الروسية قد اقتبس واستعار بعض الأساليب من « موليير » وغيره من الكتاب الأوربيين لتطوير المضمون والمواقف الكوميدية . ويتضح ذلك فى كوميدياته : « المشاجرة الفارغة » (١٧٥٠ م) والمرابى (١٧٥٠ م) و « تقوية خداع » ١٧٤٦ م والتى سخر فيها جميعا من رذائل وعيوب الأوساط الروسية مثل الملاك والموظفين .

وأيضاً النبلاء الذين لا يدركون واجباتهم الجليلة ، وسوماركوف فى تصويره للمجتمع ولظروف الحياة والأخلاق والعادات الروسية حافظ على تقاليد « الفصل التمثيلى الأضافى » و « الفارس » بمذاقها الروسى وإن أنكر فى آرائه النظرية الأصول التراثية التمثيلية الشعبية كالألعاب وغيرها .

يعتبر المؤرخون النصف الأخير من القرن الثامن عشر فاتحة طريق مندفع من الثقافة التقدمية الليبرالية ؛ إذ انتشرت الآراء الثورية لكل من

« ن . أى نوفيكوف » (٧٤٤ - ١٨١٨ م)الذى قاد حملة طويلة ضد تخلف النظام الاجتماعى ومساوئ الإدارة الحاكمة ، وأيضا « أ . ن . راد يتشيف » (١٧٤٩ -١٨٠٢م) من قواعد الحكم الأوتوقراطى ، وصور مناخ العبودية بجرأة نادرة ، بالإضافة إلى اندلاع الحرب الأهلية (١٧٧٣ - ١٧٧٥ م) حيث زادت من توتر الحياة الاجتماعية الروسية وعدم استقرارها ، وتكشف طبيعة وجوهر نظام الرق ، ثم تغلغل أفكار الموسوعيين الفرنسيين « فولتير » و « ديدورو » و « روسو » حيث استوعب العقل الروسى المتقدم أفكارهم ، كل ذلك ترك أثره على الدراما الروسية ، بل ومنذ ذلك الوقت وجهت ضربة شديدة إلى المدرسة الإسكولائية الدينية والأفكار الإقطاعية ، وتجلت أشد حدة كاتجاه متميز ، لكن فى حدود جماليات المدرسة الكلاسيكية السائدة .

كتبت الإمبراطورة «كاترين الثانية » (١٧٢٩ - ١٧٩٦ م) بنفسها- وهذا دور لم يسبق لحاكم أن قام به فى الحياة الثقافية لبلده - عدداً من المسرحيات الكوميدية والتاريخية والأوبرا كوميديا ، وتعتبر مسرحياتها استمراراً لتقاليد سوماركوف . . تهكمت كاترينا على متوسطى وصغار طبقة النبلاء ، وسخرت من عيوبهم مثل الجهل والغطرسة والغندرة والولع بالنميمة ، ونرى ذلك واضحاً فى مسرحياتها « أيها الزمن » والمسمى « السيد فورتشا لكين » و « حضرة مدام فيستينكوف مع أسرتها » و « غرفة انتظار النبيل المشهور » . وكلها كتبت عام ١٧٧٢م ، ثم

« الأسرة التى فرقتها الشكوك والمحاذير » (١٧٨٧م) وسوء الفهم (١٧٨٨ م) .

وتسمى مسرحيات كاترينا بمسرحيات « الهجاء المبتسم » وهى تعتمد أساساً على عقدة كوميدية بسيطة تقوم الشخصيات الإيجابية فيها بإلقاء الوعظ فى لغة سهلة وأسلوب يتجنب الألفاظ السوقية ، وتقابل مسرحيات كاترينا من حيث المبدأ ، تلك المسرحيات الهجائية التى لاقت تطوراً فى وقتها مثل الكوميديا الهجائية لكل من « ى . ب . . كنياجنين » و « ف . ن . كابنيست » ..

وإن كان البعض يعتقد أن أعمال كاترينا كانت البذرة الأولى لذلك النوع من المسرحيات التهكمية الساخرة ذات الطابع الروسى ، ويرى البعض الآخر أنها كانت تتضمن نقداً متسامحاً لعديد من العيوب الإنسانية وإن كانت بعيدة عن التعميم الاجتماعى .

أما مسرحيات كاترينا التاريخية مثل « من حياة ريوريك » (١٧٨٦ م) و « القيادة الأولى لأولجا » (١٧٨٦ م) فقد كانت بعيدة عن التاريخ الحقيقى ومؤكدة لأسس السلطة الملكية وموجهة ضد الأفكار المحبة للتحرر فى ذلك العصر ، وقد ارتبطت بالتقاليد الكلاسيكية للتراجيديا الروسية من حيث نغمتها التعليمية .

ظهر إلى جانب سوماركوف أيضاً « ياكوف بوريسوفيتش كنياجين » (١٧٤٢ - ١٧٩١م) ، ونلمح دائماً فى مسرحياته جوهر شخصيات

أجنبية ، وخاصة من تراجيديات « فولتير » ، لكنها على أية حال تكتسب عند كنياجين « أصالة وسمة المطابقة للواقع » .

كتب « كنياجين » عشر تراجيديات منها « أولجا » و « ديدونا » (١٧٦٩ م) « سوفونسيا » (١٧٨٦ م) و« فاديم » من نوفجورد التى نوهت عنه كاترينا فى مسرحياتها « من حياة ريوريك » . وتجرى أحداث مسرحية كيناجين فى نوفجورد القديمة التى استحالت ملكية تحت سيطرة « ريوريك » حيث نرى نائب الأمير العجوز « فاديم » الذى يؤمن بالنظام الجمهورى ويكره الاستبداد عند عودته من الحملة – لا يستطيع أن يتعرف على مدينة ميلاده ؛ إذ فى كل مكان يرى الوجهاء الفاقدين للحرية وهم يحنون الظهر فى خوف دنىء أمام الملك وهم تجاه الصولجان يقبلون فى ذلة وانكسار روحهم .

هذا الاستعباد لا يستطيع « فاديم » أن يحتمله فيدبر مؤامرة ضد (ريوريك) ساعياً إلى تحريض المواطنين ضد سارق الحرية والاستقلال ، إلا أن المؤامرة تكتشف ويقبض على « فاديم » ومعه تنتحر ابنته « راميدا » التى تعشق (ريوريك) ويحسم الصراع السياسى لهذه المسرحية عندما يقف « ريوريك » أمام محكمة الشعب يعرض نزاعه السياسى مع « فاديم » فيكون رد الشعب أن يركع أفراده على ركبهم أمام « ريوريك » ، ويطلبون منه أن يُبقى على حياة « فاديم » . وهذه النهاية جعلت الدارسين الذين اعتبروا أن كنياجين كتب مسرحية سياسية رجعية

فى حيرة ، وإلى اليوم مازال هناك خلاف حول هذه التراجيديا فكرياً .

ولكنياجين عدد من الكوميديات والأوبرا كوميديا ، وقد بقيت كوميدياته فى رصيد المسرح الروسى حتى نهاية الربع الأول من القرن التاسع عشر ، كما عاشت تراجيدياته مجداً مسرحياً لفترة طويلة .

والكوميديات الأربع لكنياجين هى : « الفشار » (١٧٨٦ م) و « الغرباء »(١٧٩٠ م) و« المصالح المنحوس » و« الحداد » وكان للمسرحيتين الأوليين نجاحٌ خاص ، حيث يتضح فيهما تصوير خصائص الحياة الروسية ، وامتازت لغتهما بالدقة وفصاحة التعبير وسهولة لغة الحوار .

أما نيكولاى بتروفيتش نيكوليف (١٧٥٨ - ١٨١٥ م) فهو من أتباع وتلاميذ سوماركوف ، وقد بدأ الكتابة للمسرح - تماماً كما يفعل كنياجين - بتراجيديته السياسية « سورينا وزامير »(١٧٨٤ م) التى تحمل أكثر الملامح التقدمية الكلاسيكية الروسية من الناحية القومية والاجتماعية ، إذ يدور موضوعها حول غضب القيصر « مستيسلاف » على الأسيرة (سورينا) حيث حاول بكل وسائله أن يباعد بينها وبين زوجها الأمير « زامير » والتفسير الذى يطرحه المؤلف يظهر واضحاً منه الاستنتاج الأساسى : أنه لا يجوز « منح القيصر السلطة الكاملة » « مادام » القياصرة يتصرفون وفق أهوائهم !

ومثلما كانت تراجيديا « فاديم » لكنياجين هى قمة التراجيديا

الكلاسيكية السياسية الروسية فإن تقاليد الكوميديا لسوماركوف وكنياجين قد بلغت أقصى نضجها السياسي والفنى فى نهاية القرن الثامن عشر على يد الكاتب الأوكرايني «فاسيلى فاسيليفتش كابنست» (١٧٥٧م- ١٨٢٣م) مؤلف الكوميديا التى منحته مجده وهى «الواشى» «١٧٩٦ م» حيث يعتبرها النقاد بعد «الشاب الجاهل» لفونفيزين أحسن الكوميديات الروسية فى القرن الثامن عشر.

نجد فى هذه الكوميديا «الواشى» مراعاة تامة لمتطلبات الكوميديا الكلاسيكية : فهى فى خمسة فصول أيضاً تحترم الوحدات الثلاث ، وكتبت بالشعر السداسى التفعيلة إلخ ... تحوى شخصيات روسية وموضوعها حول خصومة بين اثنين من الملاك ، وفى خلال ذلك يفضح المؤلف فساد الجهاز البوليسى والإدارى ، حيث الرشوة وأعمال السلب والتسلط على الموظفين العامين والاستبداد البيروقراطى ، وقد لقى الموضوع والشخصيات فى المسرحية تطوراً بعد ذلك ، وخاصة عند (أ. س. جريبويدوف) و(ن. ف. جوجول) و(أ. ن. سوخونا- كوبلين» ..

الكوميديا الدامعة والدراما البرجوازية

عرفت روسيا نظرية ونماذج الكوميديا الدامعة والدراما البرجوازية عن طريق الغرب وبالتحديد من فرنسا ، ولقد ظهرت عناصر الكوميديا الدامعة فى بعض مسرحيات (م . م . خيراسكوف ١٨٠٧ - ١٧٣٣ م) وبخاصة فى مسرحيتيه (صديق التعسين) (١٧٧٤ م) و (المبعدون ١٧٧٥ م) ويتصف أبطال هاتين المسرحيتين بالفضائل المختلفة (كالسخاء والأمانة وغيرهما) كما تصور الشرفاء التعسين من البشر المهانين المنتصرين على قوى الشر ، حتى إن خيرا سكوف عزا كل التناقضات الاجتماعية إلى تناقض الخير والشر ، وحوّل المشاكل السياسية إلى نطاق الأخلاق مبشراً وواعظاً بالوداعة المسيحية والصبر .

وشخصيات الكوميديا الدامعة عادة ما تكون مصطنعة ومختلفة ، وذلك هو أحد مآخذ النقد على مسرحيات كل من خيرا سكوف فيريفكين وإن كان الأخير يعتبر من أكبر قامات مؤلفى الكوميديا الروسية : فقد كشف ميخائيل إيفانوفيتش فيريفكين (١٧٩٥ - ١٧٣٢ م) فى مسرحياته « على هذا النحو » (١٧٧٣) . . « بمنتهى الدقة » (١٧٧٤ م) و « فى شارعنا عيد » إلخ العيوب والرذائل لطبقة النبلاء وفئة الموظفين الذين يشوهون سمعة نظام الدولة والأخلاق .

وفيريفكين فى بنائه لشخصياته يستخدم أسلوب المقابلة بين النوعيات المتضادة . . فهو يواجه الأبطال النبلاء الفضلاء بشخصيات مناقضة مثل الجبناء والملاك والبخلاء والموظفين المرتشين ، وإن كان قد استطاع ألا يتقيد بالتخطيط الذى يقسم الشخصيات إلى إيجابية وسلبية فى بعض أعماله ، فرسم شخصية الجدة المشاكسة ، كما هجر التقاليد الكلاسيكية فى تصوير شخصيات الخدم ، إذ كانوا يظهرون دائماً كأصدقاء يديرون شئون الحب . . لسادتهم ، إلا أن فيريفكين راح يؤكد سماتهم كشخصيات بشرية لها وجودها فى إطار المجتمع والحياة العامة .

ويبدو كل ذلك واضحاً فى مسرحية « على هذا النحو » التى يتلخص موضوعها فى أن شاباً نبيلاً رغب فى الزواج من فتاة ، وتم الإجراءات الأولية ، وفجأة يظهر عمه الذى كان مفقوداً منذ زمن الحرب وضاعت أملاكه ، ويتضح الحرج الذى يقع فيه البطل نتيجة لفضيلته ؛ إذ حين يظهر عمه فى هذا الوقت – لسوء طالعه – بعد اختفاء طويل فقد فيه شبابه فى الأسر أثناء الحرب ويتعرف تحت نافذة خطيبته وهو عجوز يتسول – ناهيك عما يثيره هذا المشهد من شجن – يقرر الشاب مساعدة منه بأن يعطيه نصف ما يملك ، وتقف الجدة المشاكسة التى قامت بتربية الفتاة ضد هذا التصرف ، وعندئذ تبدأ فى المسرحية « معركة الفضائل » : فالشاب يرى فى عمه « شقاء الشرف » ، بل يراه المستحق للزواج ، وأنه لا يرغب فى أن يسرق منه ما يخصه وهو طاعن فى

شيخوخته ، والعم يتوسل إلى ابن أخيه ألا يصر على قراره . . فالحياة لم تعد تغريه فى شىء ، والفتاة تقف إلى جانب خطيبها ، وتأتى فى النهاية بحل المشكلات ، إلى نهاية سعيدة دون مرارة .

وتحوى هذه المسرحية كل سمات الكوميديا المبكية من مواقف كوميدية والحرج الذى تلاقيه الشخصيات الفاضلة نتيجة لسوء الطالع وكذلك المواقف العاطفية المثيرة للشجن .

وتبدو أيضاً واضحة عناصر الكوميديا الدامعة فى مسرحيات كل من : (ف . آى . لوكين) (١٧٣٧ - ١٧٩٤ م) و « ب . أ . بلافيلتشكوف (١٨١٢ - ١٨٦٠ م) وإن كان فلاديمير إجنا تيفيتش لوكين أول المنظرين للدراما البرجوازية الروسية ، وهو شديد التأثركمؤلف درامى بكل من « ديدرو » و « لسنج » . فقد وقف ضد التقاليد الكلاسيكية . . ودعا إلى ضرورة الخلق الفنى الصادق .

كتب لوكين عشر مسرحيات منها « التوءمان » (١٧٦٣ م) . . و « الثرثار » (١٧٦٥ م) و « الخردوات » (١٧٦٥ م) و « الطائش الذكى » (١٧٦٨ م) إلخ . . إلا أن أكثرية ساحقة منها تعتبر ترجمات أو تعديلاً وإعداداً لشخصيات ونماذج أجنبية عن « رينار وماريفو وغيرهما » . . لكن تبقى مسرحية « الميذر الذى قومه الحب » (١٧٦٥ م) وهى المسرحية الأصلية - وإن كانت تذكرنا بالكوميديات الأوربية المماثلة - غير أنه يتضح فيها الاهتمام بالحياة الروسية وتصوير الحقائق وأوضاع الحياة المحلية

والتشبع الانفعالى والعظة الأخلاقية .

والشخصية الرئيسية فى هذه المسرحية لشاب بدد منذ مدة ما جمعه أبوه نتيجة لطيبته التى أفقدته إرادته وجعلته سريع الثقة بالناس ، فيقع هذا الشاب فى حب فتاة شابة . . وفى الوقت نفسه تقع فى حبه أيضا عمتها الثرية العجوز ، وتسعى إلى الزواج منه ، الدائنون يطاردونه ويحاصرونه ولابد أن يقدم إلى المحاكمة . . تعرف العمة العجوز قصة حبه لابنة أخيها الشابة ، فتقرر إرسالها إلى الدير ، لكن فى اللحظات الأخيرة تحل كل المشاكل ؛ إذ يحدث أن يموت عم الشاب ويترك ثروة كبيرة فتسدد ديونه وينقذ من السجن ، وتنقذ كذلك محبوبته من الدير ! .

فعلى ما يبدو من ضعف محاولات لوكين الإصلاحية ، فإن هذه المحاولات أنزلت ضربة بالكلاسيكية ، ولقد أوضحت الأفكار النظرية للوكين أهمية مستقبل الدراما الروسية أكثر من إنتاجه الفنى .

وتطويراً لأفكار لوكين نرى « بيتر أليكسيفتش بلافيليشكوف » (١٨١٢ - ١٨٦٠ م) يكتب العديد من المقالات عن الدراما ويؤلف ست كوميديات منها « الممرض » (١٧٩٣ م) ومن أشهرها « الأعزب » (١٧٩٠ م) التى تجرى أحداثها فى الريف الروسى والشخصية الرئيسية فيها العامل « ماتيفى » الذى يحب (أنيتا) ابنة عمدة القرية « فلاس » إلا أن العمدة لا يرغب أن يزوج ابنته (لماتيفى) ويفضل عليه « إكسين » ابن أحد التجار ، لكن تفشل دسائس « فلاس » و « يارامون » والد

« إكسين » ، وتنتهى المسرحية بحرية كل من « أنتيا » و « ماتيفى » .

كتبت هذه المسرحية وفق قواعد الدراما البرجوازية ، وفيها الكثير من الحياة الرعوية للقرن الثامن عشر ، كما صورت عدداً من الشخصيات الريفية مثل « العمدة » .. و « الكولاك » والمشهد الرئيسى بين « أنيتا » و « ماتيفى » من تقاليد « معارك الفضائل » للعشاق ..

وعلى هذا النحو حتى نهاية القرن الثامن عشر شغل موضوع الحياة المعاشة مكاناً هاماً فى الدراما الروسية ، وكتبت مسرحيات وفق قواعد الدراماوالبرجوازية متعددة تصور عالماً جديداً ، ليس بعالم النبلاء ، لكن عالم البرجوازية مثل « الشركة التجارية » لتشير نافسكى وغيرها ؛ كما يعزى إلى عام ١٧٩٤م محاولة جريئة وضِعت وفق هذه التقاليد ، وهى مسرحية « المدْرسة العسكرية » المجهولة المؤلف والتى ينحصر موضوعها الرئيسى فى فكرة امتلاك الإنسان : فالبطل فيها « فلاح «من العبيد لأحد الإقطاعيين ، تظاهر بالهرب من الخدمة العسكرية كى يتيح الفرصة لأخيه فى أن يقبض عليه ، ويتسلم لقاء ذلك جائزة مالية ، وبها يخلص أباه العبد من الفقر ، وتعتبر مسرحية « المدرسة العسكرية » ظاهرة فريدة فى نوعها . وعامة فإن الدراما البرجوازية الروسية لم تبلغ مثل هذه الحدة الاجتماعية والسياسية كما فى هذه المسرحية .

دينيس إيفانوفيتش فونفيزين
(١٧٤٢ - ١٧٩٢ م)

ترجم فونفيزن فى بداية حياته بعض تراجيديات « فولتير » مثل « الأمريكان » (١٧٦٢ م) ثم كتب بعد ذلك مسرحية كوميدية شعراً ، إلا أن أول كوميديا أصيلة تعكس الحياة ونماذج الشخصيات الروسية كانت مسرحية « البريجادير » . . أى « قائد اللواء » والتى تحوى التقاليد الروسية النابعة من كوميديات سوماركوف المبكرة ، حيث كشف المؤلف عن طباع القسوة وبلادة وسخافة ملاك الأقاليم ، والصراع فى هذه المسرحية بنى على الصدام بين الملاك أنصار نظام الرق الإقطاعى وبين الشخصيات الشابة من النبلاء أنصار حركة تنوير روسيا .

وكوميديا « قائد اللواء » كتبت وفق القواعد الكلاسيكية ، لكنها بفضل استلهامها الواقع المعاش بأصالة ، وأيضاً لغة حوارها ، وكذلك شخصياتها ذات النبض الحى - صارت بدعة فنية على المسرح الروسى ، ليس فقط بمقارنتها بكوميديات ساموروكوف الكلاسيكية ، بل أيضاً مع المسرحيات العاطفية التى كتبها لوكين .

وفى ١٧٨١ م كتب فوتفيزين كوميديا « الشاب الجاهل » التى شغلت أول مكان فى الأدب الهجائى الروسى فى عصر كاترينا ، وتدور المسرحية

فى جوهرها حول مشكلة تربية الجيل الشاب للنبلاء الروس ، وإن كان مضمون المسرحية يطل خارج حدود هذه القضية ، ففيها لمس « فونفيزين » أهم مشكلة اجتماعية سياسية لعصره ، فقد تقدم كاشفاً قسوة وعدم شرعية حقوق نظام الرق الإقطاعى ، ودعا إلى تقاليد سلطة الملاك على الفلاحين .

وفى شخصيات « بروستاكوف » و « سكوتينين » و « ميتروفانوشكى » تنعكس الملامح النموذجية لسوء خلق الملاك ، تلك العيوب الاجتماعية التى حاربها « فونفيزين » ، وسرعان ما أصبحت هذه الشخصيات قيماً اسمية ، وهؤلاء الملاك الطغاة فى « الشاب الجاهل » واجهوا الشخصيات المخلصة مثل (ستارودوم) و « ميلون » الذين يحملون أفكاراً ذات طابع تثقيفى تقدمى .

ولقد سارت أعمال فونفيزين فى إطار الكلاسيكية ، وإن كان هو بالتحديد الذى تقدم بالخطوة الأولى بالنسبة للأدب الروسى نحو طريق إنشاء الدراما الواقعية .

وبصرف النظر عن أنه فى « قائد اللواء » و « الشاب الجاهل » التزم القواعد الكلاسيكية للكوميديا – فإن هذه المسرحية الأخيرة فى جوهرها الداخلى نَسفت القواعد الفكرية والفنية للكلاسيكية : فالأبطال لا يحملون أفكاراً مجردة ، بل هم أناس أحياء فى بيئة حياتية ملموسة ؛ كما أن تراكيب لغتهم تتسم بالفردية . وظهور هذه الكوميديا كان من

الأحداث الهامة فى الحياة الاجتماعية والفنية الروسية .

ورأى « جوجول » فى مسرحية « الشاب الجاهل » نموذجاً حقيقياً للكوميديا الاجتماعية . أما « بوشكين » فقد أطلق على هذه المسرحية « أهجوة شعبية » .

أثر فونفيزين على الدراما الروسية تأثيراً عظيماً ؛ إذ قال عنه « جوركى » « إن نونفيزين كان البداية الرائعة ، وأغلب الظن ربما إنه الخط الاجتماعى المستمر للأدب الروسى ، خط الواقعية الفضاحة » .

وتوثيقياً فإن فونفيزين ترك بعض المسرحيات مثل كوميديا لا تحمل عنواناً وثانية تحت عنوان « المربى الكامل » ، ثم كوميديا فى ثلاثة فصول « اختيار المربى » وكلها تنسب إلى ١٧٩٠م، والمسرحية الأخيرة تمس الموضوع المحبب إلى فونفيزين : موضوع تربية النبلاء ، وإن كانت البيئة فى هذه المرة تختلف ، إذ يدور موضوعها حول أمير وأميرة ، إلا أنها كمعالجة تعتبر كوميديا وعظ لا يمكن أن تقارن بـ « قائد اللواء » أو : الشاب الجاهل .

استمرت تقاليد فونفيزين فى الأزمان اللاحقة كما كانت عند (ن . ف . جوجول) و (م . آى . سالتيكوف شيدرين) .

ازدهار العاطفية فى الدراما الروسية

عرف التيار الفنى الجديد والمعروف بالعاطفية فى نهاية القرن الثامن عشر ، وعلى العموم ؛ فإن العاطفية الروسية تعتبر تياراً مجدداً بالنسبة للحركة الأدبية الروسية ؛ فقد قوض هذا الاتجاه الأشكال الفنية العتيقة للقرن الثامن عشر والمعرقلة لتطور الأدب .

طرح كتّاب العاطفية . قضاياهم وأهمها تصوير الحقيقة ، الحياة المألوفة مثلما أشار رأس العاطفيين الروس (ن . م . كارامزين) ليس تصوير الشخصيات التقليدية ، بل محاولة تصوير كل البشر البسطاء ، لقد أعطى هؤلاء الكتاب طرازاً جديداً للشخصيات الفنية ؛ كما استخدموا لغة الأدب مختلفة ؛ حتى إن « مرتفع العواطف » للأبطال الكلاسيكيين تبدل إلى عاطفية البشر العاديين . والخطابية المرتفعة لتراجيديا القرن الثانى عشر صارت ليست أكثر من حوار عادى .

حقيقة أن المضمون الاجتماعى للعاطفية الروسية غير متجانس ومتنوع ؛ فهو يجمع بين عقائد النبلاء حتى اتجاه الراديكاليين الديمقراطيين ، وأحيانا المحتجين من بعض العناصر الاجتماعية ، إلا أننا يمكن أن نحدد اتجاهين فكريين هما اللذان شكلا العاطفية الروسية ألا وهما النبلاء والديمقراطيون .

وفنيًّا يمكننا القول أن الكتاب الروس العاطفيين « مدرسة كارامزين » كانوا يسعون إلى الحقيقة الفنية ، يسعون لاكتساب أعمالهم الفنية الصفات القومية من حيث الشخصيات واللغة الشعبية .

أهم الكتاب الروس للدراما العاطفية لهذه الفترة هو « نيكولاى إيفانوفيتش آلين » (١٧٧٧ – ١٨٢٣م)الذى نال مجداً وشهرة فى بداية القرن التاسع عشر كمؤلف لمسرحيتين عاطفيتين هما « ليزا » أو « انتصار الشرف »(١٨٠٢م) و (الشهامة) أو « القرعة العسكرية » (١٨٠٣م).

ومسرحية « ليزا . . أوانتصار الشرف تحكى قصة مثيرة للعواطف ؛ إذ إن ليودور وهو من أسرة أحد الملاك أحب الفلاحة « ليزا » ابنة شيخ القرية والجميع يحولون دون هذا الحب ، وعندما علمت أم « ليودور » طلبت من والد « ليزا » أن يزوج ابنته رسام الأيقونات الذى يقيم بإحدى القرى المجاورة ، ولما كان الأب لا يبغى الانفصال عن ابنته فإنه يعين لها زوجاً هو أمباشى متقاعد ، وراحت « ليزا » تتوسل إلى « ليودور » أن يتركها ، لكن فجأة يتضح أن « ليزا » ليست ابنة شيخ القرية ، بل ابنة أحد الملاك ، وهذا يحل كل العقبات ويلتقى المحبان . .

أما موضوع دراما « الشهامة » أو « القرعة العسكرية » فلا يقل إثارة للعواطف عن مضمون دراما « ليزا « ف « بوريس » يدبر الدسائس بهدف تثبيط عزم الفلاح (أرخيب) عن مخطوبته « فاليرا » اليتيمة ، ويستطيع بوريس أن يرتكب تزويراً ضد «أرخيب» الأمر الذى معه.

أصبح عليه أن يسلم نفسه للجندية ، وأمام هذا الموقف حتى لا تتحطم سعادة « أزخيب » و « فاليرا » فإن الفلاح « أبو ليت » يتطوع بالذهاب إلى الجندية بدلاً من أرخيب ، هذا السلوك الشهم يترك انطباعاً لدى بوريس فى أن يعترف بكل دسائسه . . .

قامت حول مسرحية « الشهامة » أو « القرعة العسكرية » مناقشة حامية تولى الدفاع فيها من النقاد التقدميين «آى . آى . ما رتينوف» و « ن . آى جنيديتش » ضد المآخذ التى وجهت إليها من حيث « خسة لغتها ومضمونها . . ولقد أثنى الناقدان عليها ، لأنها تحمل الملامح الحقيقية للحياة ، وكذلك لأصالتها القومية وأيضا لمعناها الديمقراطى وشكلها الفنى .

ظهرت كذلك مسرحيات « فاسيلى ميخايلوفيتشفيدوروف » – لانعرف سيرة حياته – مثل « الحب والفضيلة » (١٨٠٣م) و « التهمة والبراءة » (١٨٠٥م) وغيرهما . وأشهر مسرحياته دراما فى خمسة فصول هى « ليزا » أو « عاقبة الكبر والغرور » (١٨٠٣م). . التى كتبها عن قصة لكارامزين هى « ليزا المسكينة » .

من المؤلفين الذين لاقوا نجاحاً فى كتابة المسرحيات العاطفية « فيودورفيدروفيتش إيفانوف (١٧٧٧ – ١٨١٦م)الذى كتب دراما فى ثلاثة فصول « جزاء الفضيلة » والمسرحية الوطنية الذائعة الصيت ذات الفصل الواحد « أسرة الحلاقين » أو « لا تضيع صلاة للرب » أو « خدمة

للقيصر » حيث البطولة فيها كانت لأناس فقراء بسطاء ، وقد أعد « سيرجى نيكولايفتش جلينكا » (١٨٤٧ - ١٧٧٥ م) قصة « كارامزين » ناتاليا ابنة البويار » .

نستطيع أن نحدد السمات العامة للدراما العاطفية الروسية نثراً وشعراً فى أنها تحوى دائماً نغمات اجتماعية ، وأنها تنكر الحياة المدنية وتمجد الحياة الريفية ، وكما تسعى إلى التصوير الشاعرى ؛ كما تهتم بالعالم الروحى للإنسان ، وكذلك بالموعظة الأخلاقية ، وإيجاد المضمون المؤثر والمثير للعواطف بحساسية عالية .

على حين تتسم الصياغة الفنية لهذه الدرامات العاطفية بأنها تطفح بالمنلوجات والديالوجات ، كما ترافق جعل الحوار ملاحظات ينص عليها المؤلف يصف فيها الحالة الروحية للأبطال ، وعموماً فإن الشخصيات دائماً متحيرة مذهولة « تنتحب » .

وبرغم أن كتاب الدراما العاطفية لم يتركوا وراءهم منشورات أو بيانات مسرحية نظرية فإنهم قد وقفوا بإنتاجهم ضد الجماليات الكلاسيكية .

التراجيديا والكلاسيكية الجديدة

إن الحركة الاجتماعية فى بداية القرن التاسع عشر فى روسيا وجدت فى الحقل المسرحى تعبيراً واضحاً ، وخاصة فى ذلك النوع الفنى « التراجيديا » ؛ فقد كانت الأيام الأولى للقيصر الإسكندر الأول بداية بعث للحياة الاجتماعية ، لكن سرعان ما تلاشت هذه البداية الطيبة إلا أن غزو نابليون لروسيا ، وماصاحبه من حماس وطنى له فى أثناء الحرب التحريرية القومية أيقظ الوعى القومى ، وزاد من المزاج المعارض والرافض للواقع المقزز من حيث الاستبداد ونظام الاسترقاق ، وبدأت الجماعات الغربية الاجتماعية تعد للهجمة الثورية المعروفة باسم « الديسمبرين » .

وساعد كل ذلك على ميلاد الكلاسيكية الروسية الجديدة ، وأصبحت القضايا الجمالية للكلاسيكية مرة (ثانية) مداراً للآراء النظرية ؛ فقد نالت القواعد المهترئة العتيقة للتراجيديا الكلاسيكية لدى الكتاب المسرحيين تجديداً خلاقاً تحت تأثير المبادئ الابتداعية لتيار العاطفية وما قبل الرومانسية .

والمؤلف المسرحى الذى أحيا التراجيديا الكلاسيكية الروسية هو « فلاد يسلاف أليكسندروفيتش أووزيروف » (١٧٦٩ - ١٨١٦م) .

وقد ظهرت أول تراجيدياته (١٧٩٨م) «مودت النبيلة أولجا» ثم (تبعتها «أوديب فى أثينا» (١٨٠٤م) عن الأسطورة اليونانية القديمة، وأحدثت مسرحيته «فينجال» (١٨٠٥م) ضجة واسعة، وفى (١٨٠٧م). كتب تراجيديته «ديمترى دونسكوى» وهى من التاريخ الروسى. وتناول بعد ذلك موضوعاً عن «هيوميروس» فى تراجيديته «بولكسينا» (١٨٠٨م)، أما تراجيديته الخامسة فهى «ميديا» التى كتبها (١٨٠٩م).

وتتميز ملامح وشخصيات مسرحيات «أوزيروف» بأنها ذات طبيعة فنية روسية رومانسية للغاية «الشجن - العاطفية والمعالجة للمضمون القديم والاتجاه إلى الأساطير»، ويرجع تفاوت أعمال (أوزيروف) إلى أنه وإن كان متأثراً بالاتجاه العاطفى - لم يقطع علاقته بالقوانين الكلاسيكية للدراما.

ولقد لاقت مسرحياته نجاحاً كبيراً وذلك لأنها تحمل فى تضاعيفها تعقيبات مباشرة متفقة مع مزاج المجتمع الروسى: فتراجيديا «أوديب فى أثينا» كانت مشبعة بكثير من النغمات السياسية المعاصرة لها: ففيها مثلاً فكرة طرد الملك أوديب التى تتجاوب هى ومصيرُ الأجلاف الجهلاء المغتصبين للسلطة كما أنه فى تراجيديا «فينجال» نرى موضوع الشوق الملتهب لفينجال إلى «مونيه» تردد ما كان وقتها يدور عن علاقة متبادلة بين الإسكندر الأول والملكة البروسية «لويزا» بيد أن كل هذه الموتيفات

الاجتماعية والوطنية بالقطع لم تحول أعمال « أوزيروف » إلى نوع من المجاز والإسقاط العارى من الفن . . بل على العكس فإن « أوديب » أدهشت الجميع بصورها الشعرية الرائعة وشخصياتها الفنية ، بل وتميزها عن كل الشخصيات المتعارف عليها فى تراجيديا القرن الثامن عشر : فالحوار فى تراجيديا « أوزيروف » كتب شعراً يحفظ عن ظهر قلب ، حتى إن الاقتباسات المنفردة تحولت إلى حكم مأثورة .

ابتعد « أوزيروف » عن القواعد الشعرية المألوفة للتراجيديا ، وراح يجمع ما بين مبادئ الاتجاه العاطفى وأيضا ما قبل الرومانسية مكسباً الشخصيات التراجيدية الصفات الإنسانية ، حتى أصبح « أوزيروف » هو الممثل الروسى لذلك الاتجاه الأوربى العام للكلاسيكية الجديدة الذى أنتج فى فرنسا التراجيديا الثورية على يد « شينيه » و « ليميرسيه » وفى ألمانيا « جبنه » و « شيللر » وفى إيطاليا « إليفيرى » : و « بيرون » فى إنجلترا الذى احتفظ هو أيضاً بالقوانين الكلاسيكية .

ففى « أوديب فى أثينا » نرى « أوزيروف » قد أضاف إلى شخصياتها الكلاسيكية سمات الحساسية والرقة : فهو لم يقدم الصورة القديمة لأوديب سوفكليس ، بل قدم الأب العجوز الضعيف العاجز ، وحوار « أنتيجونا » ليس ذلك الحوار المفعم بالوعى ، لكن حوار الفتاة الحنون المثير للعواطف ، وهذا ما ينسب المؤلف إلى « مدرسة كارامزين » وعلى أية حال فإن اتجاه العاطفية بقضاياه الإنسانية ودفاعه عن حقوق الإنسان

نجده محسوساً كملامح أساسية في تراجيدياته .

لقد قال « بلينسكى » عن « أوزيروف » إنه لم يكن كاتباً بالمعنى الحقيقى لهذه الكلمة . . بل إننا نعتقد أن نجاح « أوزيروف » كان قصير المدى ، إلا أنه كان نجاحاً باهراً ، إذ فتح صفحة جديدة فى تاريخ الدراما والمسرح ، ففى طريق الاقتداء بـ « أوديب فى أثينا » ظهرت سلسلة كاملة من المسرحيات تتخذ موضوعاتها من الأساطير اليونانية القديمة ، ومثالاً لذلك مسرحيات « أليكسندر نيكولا يفتش جروزينتسف » مؤلف تراجيديا « أليكتر وأورست » (١٨٠٩ م) و « أوديب الملك » (١٨١١ م) إلخ . . كما أنه بالتأثير المباشر لتراجيديا « ديمترى دونسكوى » كتبت تراجيديات كلاسيكية جديدة تستمد موضوعاتها من التاريخ الروسى : فقد كتبت « جيلينكا » – الذى نوهنا عنه من قبل – تراجيدياته الشهيرة « سقوط المملكة » والمفعمة بالأقوال التسجيلية ذات الظلال السياسية ، وكذلك تراجيديا « الأمير ميخائيل » (١٨٠٨ م) التى تتخذ موضوعاً عن المآثر البطولية للأمير الروسى . ولقد تبع (جيلنكا) فى محاولة الاقتداء بموضوع تراجيديا « سقوط المملكة » « جروزينتسف » حيث كتب تراجيديا « رحمة القيصر يوهان فاسيليفتش الرابع الملقب بالرهيب » . .

سار فى هذا الاتجاه بعد ذلك « فاسيليفتش كريوكوفسكى » (١٧٨١ – ١٨١١ م) : فقد كتب تراجيديا شعراً فى ثلاثة فصول هى

(تحرير موسكو) (١٨٠٧م)، وإن كان قد حصر مركز الثقل فيها فقط في المجاز السياسي المتعلق بمجريات عصره ... مهملاً تماماً الشكل الفني ولغة الحوار .

وأخيراً وجد المزاج الاجتماعي الرافض والمشبع بتراجيديا « أوزيروف » ختاماً مباشراً في مسرحيات الديسمبريين ، وتعتبر تراجيديا « أهل أرجوس » المثال على التراجيديا ذات الأهداف المباشرة والتي كتبها « فيليجليم كارلوفيتش كيوخيلبيكير » (١٧٩٧ - ١٨٤٦م) ما بين (١٨٢٢ - ١٨٢٥م). أي على عتبة أحداث ديسمبر » وتقوم المسرحية في الأساس على حادثة من التاريخ اليوناني القديم في القرن الرابع عن القائد الكورنثي « تيموليون » الذي طرد بعض الطغاة وحسم الخلافات ، لكنه حرص كل الحرص على ألا يدع الفرصة تفوته ؛ لينصب من نفسه طاغية ، بل وقتل أخاه ، وقد جذب هذا الموضوع انتباه الكتاب المسرحيين الأوربيين قبل « كيوخيلبيكير » مثل « لارهاب - ألفيرى - شينيه » إلا أن الكاتب الروسي لم يتجه إلى هؤلاء ، بل اتجه مباشرة إلى التاريخ القديم ؛ كما أنه لم يقلد شروح وتفسيرات الكتاب الكلاسيكيين في معالجته الفنية . وتعد تراجيديته تلك استمراراً لتقاليد التراجيديا ، كفن له تأثير سياسي مباشر : فشخصية الإسكندر الأول نحسها بوضوح من وراء شخصية « تيموليون » الذي أعرب في البداية عن اهتمامه بمصالح الشعب ، لكنه بعد الحرب الظافرة أصبح قاسياً وطاغياً ، وعموماً فإن

موضوع الصراع السياسى مع الطاغية فى صوره المختلفة هم الديسمبرين ، وتبرز تراجيديا « كيوخ خيليبكير » كأحد هذه التراجيديات ، وقد استمر تيار الاهتمام الاجتماعى فى الكلاسيكية طوال الربع الأول من القرن التاسع عشر.

يقف منفرداً كلية عن هؤلاء « بافيل أليكسندر وفيتش كاتينين » (١٧٩٢ - ١٨٥٣م) الذى قام بترجمة العديد من الكلاسيكيات الفرنسية فى القرن السابع عشر ، وكتب تراجيديا تتسم بالأصالة هى « أندروماك » ذات لغة قديمة ، ومحتفظة بعناصر الشكل الكلاسيكى ، وقد خلق « كاتينين » فيها جملة من الشخصيات والأبطال الذين يتمتعون بشاعرية رائعة ، وقد دافع نظرياً عن جماليات الكلاسيكية ، وحارب الغرام « الكارامزين » ومن هذا المنطلق وقف أيضاً ضد الرومانسيين ، حتى أنه من أجل ألا يحطم الشكل الكلاسيكى رفض أن يقبل تراجيديا « بوشكين » « يوريس جودونوف » ويذكر دائماً أن « كاتينين » هو آخر المدافعين عن الكلاسيكية فكراً وفناً .

كوميديا بداية القرن التاسع عشر

إلى جانب تراجيديا الكلاسيكية الجديدة ومسرحيات اتجاه العاطفية . . أدت الكوميديا دوراً لا يستهان به فى تطوير المسرح الروسى فى بداية القرن التاسع عشر ، وظهرت فى ميدان الكوميديا الروسية أسماء عديدة منها « كريلوف » و « شاخوفسكى » « وخيلينيتسكى و زاجوسكين . . وغيرهم . . وتنسب أيضا إلى هذه الفترة الأعمال المبكرة لجريبويدف . . وكما هو معروف فإن « بوشكين » فى صباه كان مهتماً بالكتابات الكوميدية وله عدة محاولات يمكن أن ندخلها فى هذا الفن . . .

استخدم كتاب هذه الفترة وعلى نطاق واسع الصيغة الشعرية ، وغلبت على الكوميديات عناصر الحياة الملحة والقضايا المعيشية واستخدام أسلوب الهجاء ، بل وأصبحت الكوميديا وسيلة علنية للمجادلات والمناقشات للاتجاهات الفنية والجماعات الأدبية ، كما عرفت هذه الفترة بالتأليف الجماعى المسرحى . . ونذكر مثالاً على ذلك الكوميديا المشهورة « أسرتى » أو : « الخطيبة المتزوجة » التى كتبت (١٨١٧ م) وشارك فى كتابتها كل من « شاخوفسكى » و « خميلينتسكى » و « جريبويدف « . .

لكن على الرغم من ذلك فقد ظهرت بوضوح فى كوميديا القرن التاسع عشر نزعات فكرية وفنية مختلفة ، فمثلاً : يمكن أن نرصد الاتجاهات الديمقراطية الراديكالية التى تنتقد شكل مجتمع النبلاء بهجاء سافر وإن كان هذا الهجاء لا يطل خارج إطار طبقة النبلاء بأى فكر سوى نكات صالونات علية القوم ، وليس هناك من هدف سوى التسلية والترويح عن النفس .

وتحمل أعمال الكاتب « إيفان أندرو يفتش كريلوف » (١٧٦٨-١٨٤٤م) هذه السمات الراديكالية : فقد كتب « الأسرة المسعورة » (١٧٨٦م) و« شاعر فى الغرفة » (١٧٦٨م) وفى مسرحية « الفطيرة » (١٨٠٢م) سخر من النزوات العاطفية التى هى ثمار تكاسل النبلاء . أما « الطاحونة » (١٧٧٩م) فهى تذكرنا بتقاليد مسرحيات القرن الثامن عشر وخصوصاً فى مواقفها واتخاذها الحياة الريفية موضوعاً ، وإن كانت تتميز بالنقد الهجائى ، وبغض النظر عن نقد المؤلف لنظام الاسترقاق الذى يجعل منه نظاماً لا يتغير مهما تكن الظروف ، فهو يحذر الملاك من التعسف فى استعمال السلطة كما فعل النبلاء ، وقد كتبت هذه الكوميديا بلغة شعبية حية دون ذوق أدبى أو استخدام اللهجة الريفية المحرفة .

غير أن أحسن كوميديات « كريلوف » هى « حانوت على الطراز الحديث » (١٨٠٦م) و« درس للفتيات » (١٨٠٧م) . . ففيهما استهزاء هجائى بالولع الأعمى لكل ماهو فرنسى ، ويتضح ذلك المعنى بصورة

واضحة فى كوميديا « درس للفتيات » التى يدور موضوعها حول كيفية أن الخادم الذكى « سيمون » استغفل بنات الملاك « فيكلا » و « لوكيريا » مقدماً نفسه لهما على أنه مركيز فرنسى .

وفى الحقيقة أن كوميديا « درس للفتيات « من ناحية مضمونها ومواقفها تذكرنا بمسرحية موليير (المتحذلقات) ، ويمكننا دون جهد أن نتعرف على الشخصيات المتوازية فى المسرحيتين فمثلاً : « فليكاروف » هو « جورجيبوس » و « فيكلا » هى « مادلون » و « لوكيريا » هى « كاتوس » حتى الخادم « سيدورك » هو « المنزور » وأيضاً « لاجرانح » و « دى كروازى » يجدان انعكاسا لشخصيتهما فى صورة الخاطبين « خوبروف » و « قانين » . بل إننا كذلك نستطيع أن نطابق النصين فى منولوجات الشخصيات الروسية وفى الأصل الفرنسى ، لكن «كريلوف» لم يرسم ببساطة نساء كثيرات الدلال من علية القوم ، بل رسم بالتحديد بنات الملاك الروس . . فهن وقحات وجاهلات لا يحتفظن بالكتب بل بمجلات المودة ؛ كما أنهن يستحين من أصلهن الروسى ، تقول « لوكيريا » بغطرسة : انظر إلى الكثير من هؤلاء الشباب الذين قام بتربيتهم مربون . . هل يشبهون الروس فى شىء . . ؟ إن السمة الأساسية خلال المسرحية كلها فى معركة الوعى القومى ، وكذلك السخرية من التشبه بكل ما هو فرنسى مقترنة بطعنات هجائية إلى الملاك .

ودائما ما يُذْكَرُ « كريلوف » ككاتب مسرحى وقبل كل شىء

ككاتب كوميدى بارز فى ذلك الاتجاه الديمقراطى الراديكالى المناهض لطباع النبلاء والساخر من مجتمعهم ،وأيضاً المنادى بالوعى بالذات القومية .

عرفت الكوميديا كذلك « أليكسندر أليكسندروفيتش شاخوفسكى » (١٧٧٧ - ١٨٤٦ م)الذى أدى دوراً حيوياً خاصاً فى الربع الأول من القرن التاسع عشر ، حيث كتب فى العديد من الأنواع الدرامية وأيضاً النظريات . . إلا أن نشاطه الهام يعد فى كتابة الكوميديا ، حتى إن لم نأخذ فى الاعتبار كوميديته « الدعاية النسائية » (١٧٩٥ م). . فإننا يمكننا على وجه التحديد أن نعد مسرحيته « الماكر » (١٨٠٤ م)التى هاجم فيها البيروقراطية بداية حقيقية له .

هذا وقد طور « شاخوفسكى » (كوميديا الأمزجة) بكوميدياته مثل « تدابير السيد المهجن » أو « المسرح المنزلى »(١٨٠٨ م)فالشخصيات الرئيسية فى هذه الكوميديا هى « ترانجيرين » الذى اشترى ضيعة من «كونت مبذر » . . ومن أجل أن يتفوق على جاره . . فإنه ينشئ فى منزله مسرحاً كى يستقبل فيه العرض الذى يستضيفه . . وتدور المسرحية حول الاستعدادات التى يقوم بها هذا السيد المهجن لا ستقبال الفرقة المسرحية احتفالا بالملاك «كويتر مين » الذى يطمع بأن يكون زوجاً لابنة أخته « صوفيا » وخلال الفصول الخمسة تجرى هذه الاستعدادات . . و«ساخوفسكى » يبذل كل جهد فى أن يحمى نفسه من اللوم والعتاب ؛

لأنه يسخر من مجتمع الملاك ، لذلك فإنه يشدد على أن « ترانجيرين » كان فى الأصل ملتزماً ثم أثرى فأصبح يحسب من النبلاء .

كتب (شاخوفسكى) فى (١٨٢٢م) كوميديا تعتبر استمرارا « لتدابير السيد المهجن » ، وهى فى أربعة فصول بعنوان : « عاقبة السيد المهجن » حيث نعلم أن مسرح « ترانجيرين » قد تعطل ، إذ أخذ منه وفاء لدين عليه . . .

كما أن (لشاخوفيسكى) كوميديا شعرية هى « المنازل الخالية » (١٨١٩م) مشبعة كذلك بالنقد لعيوب مجتمع الملاك ، حيث يصور فيها كيف أنه بلا معنى أن ينفق الملاك كل نقـودهم فى ضياع كبيرة ، هذا وقد طور « شاخوفيسكى » هذا الموضوع فى كوميديته : « حديث الرقيب وصديقه » (١٨٠٨ م) .

أما الدائرة الأخرى لكوميديات « شاخوفيسكى » فهى تحمل بوضوح الطابع الهجائى وعلى وجه الخصوص مسرحيته الهامة والتى يرجع لها الفضل فى شهرته كمؤلف مسرحى . . تلك هى « ستيرن الجديد » . . (١٨٠٥م) وموضوع المسرحية يدور حول الكونت الشاب « برونسكى » المناصر للأفكار العاطفية الجديدة ، والذى يقوم برحلة عاطفية وفى أثناء هذه الرحلة يقع فى حب فتاة ريفية هى « مالانيا » إلا أن حديث (برونسكى) العاطفى لا يترك أى أثر فى نفسها . . وفى النهاية يستطيع

« برونسكى » بفضل « سودين » صديق والده أن يقلع عن أفعاله الغريبة .

وبالطبع إن كوميديا (شاخوفيسكى) هذه سخرية من العاطفيين الروس ، وعلى وجه التحديد ضد « كرامزين » . . وقد أوقعت كوميديا « ستيرين الجديد » « شاخوفيسكى » فى نطاق معركة أدبية فى بداية القرن التاسع عشر ، وخلقت له أصدقاء وأعداء وأثارت كوميديته « درسٌ للعابثات بالحب (١٨١٥ م)- حماساً أشد . وبعد سنوات من العمل كتب على غرار كوميديا الجدل للقرن الثامن عشر كوميديا هى « أرسطوفان » أو « تصور « لكوميديا الفرسان (١٨٢٦ م) وتعد أحسن مسرحياته . والذى لا شك فيه أن « شاخوفسكى » حارب من أجل خلق كوميديا روسية قومية ، لذا فقد كان يقدر باحترام « فونفيزين » وكذلك « الواشى » لكيناجين وأيضاً « حانوت على الطراز الحديث » لكريلوف التى تعد مصدراً لكوميديا الأمزجة ويمكننا القول : إن كوميديات « شاخوفسكى » قد ربّت جيلاً جديداً من الكتاب الروس ، كما أدت دوراً كبيراً فى تطور الكوميديا الروسية القومية .

وعلى منوال وتقاليد كوميديا « شاخوفسكى نفسه سار ميخائيل نيكولا يفيتش . . زاجوسكين (١٧٨٩ - ١٨٥٢م) الذى كتب سبع عشرة مسرحية ومسرحية واحدة من الفودفيل ، فمثلاً : مسرحيته « كوميديا ضد كوميديا » أو « درس لأزياء النساء » (١٨١٥م) كتبها

تحت تأثير كوميديا « شاخوفسكى » : « درس للعابثات بالحب » . . إذ اقتفى فيها أثر « شاخوفسكى » فى تقاليد كوميديا الأمزجة .

كتب « زاجوسكين » فى (١٨١٧م) مسرحية كوميدية فى خمسة فصول هى « السيد بوجا تونوف » أو « ثرى فى العاصمة » حيث يصور أحد الملاك المبذرين فى العاصمة والذى يتصل بمجتمع علية القوم ، وبالطبع تذكرنا هذه الكوميديا مسرحية « موليير » « البرجوازى النبيل » ويمكننا أن نرى بوضوح تشابه الشخصيات : فمثلاً « بوجاتونوف » هو « جوردين » . . و (مدام بوجاتوتوف » — مدام جوردين — و « ليزا » « لوسيل » . . و « الكونتفلاديمروف » « كليون » و « الأميربليستكين » « الكونت دورانت » . . و « البارونة فولمار » « ماركيزا درومينيا » . . إلخ .

غير أننا نرى مسرحية « زاجوسكين » تمتاز عن مسرحية « موليير » باتجاهها الفكرى : فالمؤلف الروسى يتألب على الملاك الروس الذين يهجرون مزارعهم ويذهبون للمدينة . وفكرة المسرحية ترى أن على النبيل أن يجلس فى ضيعته ، وخلاف ذلك فإن الفلاح الحقيقى سيخدعه ، بالإضافة إلى ذلك أن عليه أن يبقى داخل ضيعة نظام الأبوة التقليدى الزراعى ؛ لأن روسيا بلد زراعى والمصانع لا تلزمها . . وواضح أن « زاجوسكين » يسخر من المجتمع الأرستقراطى فى شخص الأمير « بليستكين » . . و « البارونة فولمار » ، وذلك لأنه كان لدى الأمير

ضيعة خصبة غنية ، لكنه باعها من أجل « أن يعيش عامين فى باريس » . .

وقد دفعه نجاح مسرحيته هذه إلى أن يكتب مسرحية فى أربعة فصول تعتبر استمراراً لها وهى (بوجاتونوف فى الريف) (١٨٢١م). والمضمون الذى تطرحه هذه المسرحية هو أن الدرس الذى تلقاه « بوجاتونوف » فى بطرسبرج لم يتعلم منه . . فهو كالعادة يتغطرس ويسعى وراء العلاقات الأرستقراطية وإنفاق المال فى اللغو . . وليس هناك من شك فى أن « زاجوسكين » التقط الفكرة من « المنازل الفارغة » لشاخوفسكى .

كان لنجاح روايات « زاجو سكين » التاريخية أثره ، إذ توقف عن النشاط المسرحى ، لكنه ما لبث أن عاد إلى المسرح فى منتصف (١٨٣٠م) وإن كان النقاد يعتبرون أن كتاباته فى الفترة الأخرى تعد أحسن إنتاجه . كتب فى هذا الفترة « الساخطون » (١٨٣٥م) وكذلك مسرحيته « درس للأمهات » التى أعدها عن قصته « ثلاثة عرسان » وأيضا « السفر للخارج » (١٨٥٠م) عن قصة له بالاسم نفسه .

أما « نيوكولاى إيفانوفيتش خميلينيتسكى » (١٧٨٩ - ١٨٤٥م) فهو فى كتاباته المسرحية لم يتعرض لأى قضايا اجتماعية أو موضوعات جادة . . كتب « تصور فى الهواء » وبعد ذلك كتب عدداً من الكوميديات الشعرية منها « المتردد » (١٨٢٠م)و « التجربة المتبادلة » كما كتب سلسلة من الفودفيل التى سوف نتكلم عنها فى فصل لاحق .

والحق أن الكوميديا الشعرية لخميلينتيسكى إعادة لبعض المسرحيات الفرنسية بدرجة ما إلى شكل روسى : فهو فى واحدة يغير تسميتها ومكان الأحداث ، وفى الأخرى يغير أسماء الشخصيات وأبطال مسرحياته من ناحية بنائهم كشخصيات ، فهم جميعا متشابهون للغاية ، إذ أن المؤلف لا يشغله الأبطال والشخصيات بقدر مايشغله الموقف المضحك ، وفى هذا الأمر فإن شخصياته تصيب الهدف . . أى : الإضحاك . . أما لغة الحوار فكلها فى أسلوب واحد رفيع وإن كان ثرثرة الصالونات المحلية لأن أكثر مايثير « خميلينيتسكى » هو الشك شكل الكلام الذلق الفكه فى صياغة شعرية سهلة . . وعلى أية حال فإن كثيراً ما يطلق على المؤلف أنه سيد الحوار الشعرى . . فهو الذى حسّن الكوميديا الروسية من ناحية الشكل . . وقد ترك أثراً هاماً فى تطوير الشعر الروسى عموماً . . ومن هنا يأتى فضله الرئيسى ككاتب كوميدى . وقد كتب فى نهاية حياته عدداً من المسرحيات التاريخية متأثراً فى ذلك بنجاح « كوكو ليناكا » و« بوليف » ، بيد أن هذه التجارب الدرامية لم تجذب إليه الانتباه . . إذ فى تاريخ المسرح لم يتبق له من مكانة إلا ككاتب للشعر الكوميدى والفودفيل .

إن الدور التاريخى لكوميديا القرن التاسع عشر ينحصر فى أنها معبراً حقيقيًّا عن المعركة من أجل خلق أدب قومى .

(أ . س . جريبويدوف)
(١٧٩٥ - ١٨٢٩ م)

أليكسندر سير جيفيتش جريبويدوف الذى بدأ الكتابة للمسرح منذ صباه .. وضع وهو فى الرابعة عشرة محاكاة هجائية تحت اسم « ديمرى دريا نسكوى » عن التراجيديا الشهيرة « لا وزيروف » « ديمترى دونسكوى » ثم أعد تحت تأثير «شاخوفسكى »
الكوميدية الفرنسية سر الحياة الزوجية « للمؤلف » كريزى دى ليسيه بعنوان « العقيلات حديثات الزواج » (١٨١٥م) حيث تجرى أحداث هذه المسرحية فى حجرة استقبال فى بيت « إريست » الزوج الحديث العهد بالزواج ، والذى أضناه الملل والضجر من زوجته « ألميرا » وبدأ يفتر تجاهها ، إلا أن تدخل صديقه الشريف « سافير» وإقناعه « أليميرا » أن تتظاهر بمغازلته . . وذلك بقصد استثارة الزوج . . وقد نجحت خطته ، وعاد « إريست » من جديد إلى زوجته . وفى (١٨١٧م) اشترك « جريبو يدوف » و «كاتنين » فى كتابة مسرحية « الطالب » وهى كوميديا فى ثلاثة فصول ، حيث وفق الكاتبان فى خلق شخصية « بيفو لسكى » الشاب الريفى المتحمس فى سذاجة الحالم بالترقى والمجد الشعرى ، وأيضا صديقه ونصيره الشاب الغريب الأطوار الأجوف (زفيز دوف) والذى لايعرف شيئا . . ثم اشترك « جريبو يدوف »

كذلك و « شاخو فسكى » و « خميلينتسكى » فى كتابة « عائلتى » (أو الخطيبة المتزوجة) والتى تمثل حتى اليوم على المسرح . . ثم بعد ذلك بفترة أعد بالاشتراك مع (جاندر) (١٧٨٩– ١٨٧٣م) كوميديا من فصل واحد هى : « الخيانة المصطنعة » لبارت الكاتب الفرنسى ، غير أنه كتب ١٨١٩م « اختيار الفصل التمثيلى الإضافى » وفى (١٨٢٣م) كتب افتتاحية بعنوان : « الحلم النبوى » عن « لومو نوسوف » . . كما وضع أوبرا « فودفيل » « من الأخ . . ؟ من الأخت . . ؟ » أو « غش فى غش » . . ويمكننا القول بأن كل هذه الأعمال المسرحية (لجريبو يدوف) بما فى ذلك أفضلها . . أى « عائلتى » و « الطالب » لم تصنع لمؤلفها مجدًا ، إذ أنها لم تحمل معنى فنيًّا هامًّا يمكن أن يثير الانتباه ، أما الكوميديا الخالدة الشهيرة والتى خلقت الوجود الحقيقى لـ (جريبو يدوف) فهى « صاحب العقل يشقى » حيث تتميز بصورة جادة عن كل هذه الأعمال الدرامية المبكرة . . وتظهر موهبته ككاتب مسرحى خبر أحسن الأساليب الدرامية الفرنسية والكلاسيكية الروسية .

ظهر « جريبويدوف » فى الوقت الذى كانت فيه الكوميديا الروسية تطور رصيدها عن طريقين . . هما : « شاخوفسكى » و « زاجو سكين » اللذان كتبا كوميديا « قضايا الساعة الهجائية » والتى دائماً ما كانت مليئة بالدروس والتلميحات والإسقاطات على الأمور المعاصرة . . والطريق الآخر هو « خميليتنسكى » الذى كان يكتب كوميديا السلوك التى غالباً

ما كانت مقتبسة المضمون من مصادر فرنسية . . وتنسب مسرحيتا « جريبو يدوف » (العقيلات حديثات الزواج) و (الخيانة المصطنعة) إلى مدرسة « خميلينتسكى » أى إلى كوميديا السلوك . . إلا أن هذا الرأى قد يحد الأمر بشكل ساذج إذ أن جريبويدوف استوعب فى ذلك الوقت المدرستين وراح يبحث عن طريقه الخاص ، وعلى وجه التحديد هذا ما يوضح ويشرح تعامله وتعاونه فى وقت واحد مع كل من « شاخوفسكى » و« خميلينتسكى » .

و « صاحب العقل يشقى »(١٨٢٤ م) تعتبر من أشهر الأعمال الروسية الواقعية ، وهى تحكى بشكل جديد مأساة المجتمع الروسى بعد الحرب الأهلية (١٨١٢) مجدولة بقصة النبيل الشاب (تشاتسكى) الذى يعود إلى موسكو بعد ترحال طويل ليرصد من خلال حكاية حبه الخاصة ملامح المجتمع بواقعه الدنىء ؛ إذ يجد (صوفيا) الفتاة التى يحبها قد تبدلت عواطفها وتغيرت نظرتها وصارت ترى الكون من خلال منظار عفن . . ومن حولها والدها « الكولونيل فاموسف » الذى تنحصر كل اهتماماته فى الثرثرة والتى من أجلها يقيم الحفلات ثم سكرتيره « مولتشالين » المتملق الانتهازى الذى يداهن كلاب رؤسائه . .

وأيضاً « سكالوزوب » صديق الكولونيل » عدو المعرفة والكتب . . إلى جانب العديد من النماذج والشخصيات التى تحيط بالشاب تشاتسكى وتكاد تخنقه ، وتضيع حبه فلا يملك سوى الرحيل عن هذا المجتمع المتعفن

وأوضح « جريبويدوف » فى هذه الكوميديا عملية انعزال النبلاء الذين هم أكثر تقدما عن بيئتهم الخاملة وكشف عن مدى معركتهم مع طبقتهم ، وبصورة أخرى لخص المؤلف المعركة بين مجتمعين ، والصراع فيها ليس فى شكل تجريدى أو مجازى . . كما كان الأمر بالنسبة للكلاسيكيين والرومانسيين ، بل جاء فى شكل حياتى أصيل ، وقد غمر « جريبو يدوف » الكوميديا بالملامح المميزة للمجتمع . . وكذلك ظواهر الحياة .

والذى يشغل المقام الأول من الأهمية فى هذه الكوميديا هو اصطدام الأبطال فكرياً : فالأمر هنا مختلف عن الكوميديات السابقة التى نرى الصدام فيها بين الطباع والأذواق أو الأعمار أو الحالة الاجتماعية ، أما هنا فالمعركة حول الفهم الصحيح لفكرة الحياة .

إن كوميديا « صاحب العقل يشقى » كوميديا ذات حبكتين متوازيتين . . إلا أن الحبكة الاجتماعية أكثر اتساعاً . . فهى تبدو كما لو أنها تحيط بالحب . أى حب « تشاتسكى » و « صوفيا » وامتزاج الحبكتين فى كل مراحل تطور المضمون يسبغ عليها معنى الاقتراب من الحقيقة الحياتية : ففى المشهد الذى تطورت فيه الحبكة الشخصية للمسرحية حين يعرف تشاتسكى أن « مولتشالين » منافس له بل إن « صوفيا » تحبه بالفعل وهوالذى لم يشك طوال المسرحية فى أن يكون « مولتشالين » خصماً له . . عندئذ يكون حقاً الصدام الحقيقى ؛ إذ إن

الخصم لو كان شخصاً آخر غير « مولتشالين » الذى تخالفه « صوفيا » فى تطورها العقلى والأدبى والأخلاقى ، لما كانت الأزمة لدى « تشاتسكى » بهذه الحدة ، إذن لكان قد اعتذر لها عن حبه القديم لها . إن عذاب « تشاتسكى » أنه اكتشف أن « صوفيا » ترى الكثير جدًّا فى هذه الحياة من خلال عينى « مولتشالين » لقد ذبلت الهالة التى تحيط بـ « صوفيا » وهى الآن تقف فى صفوف مضطهدة ! .

أما فيما يخص الملامح الفنية لكوميديا « صاحب العقل يشقى » فهى قد حافظت على وحدة الزمان والمكان ونبالة الشخصيات ، بيد أنها كتبت فى أربعة فصول ولغتها قريبة للغاية من اللغة الشعبية الحية .

ولقد حلم « جريبويدوف » أن يكتب عدداً من التراجيديات ، لم يصلنا سوى بعض المشاهد والمقتطفات مثل خطة « روداميست وزينوبيا » وأيضاً خطة رسم تمهيدى لمشهد من تراجيديا (عام ١٨١٢ م) ثم مشهد من « ليلة فى جورجيا » ..

لكن الفضل الحقيقى (لجريبويدوف) يحسب له فى كتابته للكوميديا الخالدة « صاحب العقل يشقى » .. وإن كان النقاد الروس لا يروقهم الحديث عن (جريبويدوف) ككاتب لمسرحية واحدة أو « أديب ذى فكرة واحدة » .. بل إنه بالنسبة لهم – وإن كان يرتبط أساساً بمسرحية « صاحب العقل يشقى – فهو فاتح أيضا لصفحة جديدة فى تاريخ المسرح الروسى .

بوشكين والدراما

(١٧٩٩ - ١٨٣٧ م)

أليكسندر سير جيفتش بوشكين صاحب العديد من الإبداعات الأدبية المختلفة ، وأما فيما يخص الدراما فينسب الدارسون إلى فترة شبابه فى الريف أنه قد عزم على أن يكتب تراجيديا عن « فاديم الجمهورى من نفجورد » (١٨٢١ م) بل ويستنتجون مما وصلهم من مشاهد ، وكذلك خطة كتابتها أن « بوشكين » كان ينوى كتابة تراجيديا سياسية قريبة إلى الاتجاه الفنى والفكرى السائد وقتها فيما هو معروف « باتجاه الديسمبرين » ؛ كما ينسبون أيضاً لهذه الفترة (١٨٢١ م) كوميديا « المقامر » التى لم يصلنا منها سوى خطة كتابتها وبعض المشاهد ..

كتب (بوشكين) (١٨٢٧ م).تراجيديا « بوريس جود نوف » وهى تعد مزيجاً من التأمل السياسى والاجتماعى والارتياد الفنى لهذه الفترة التاريخية ؛ إذ أدرك « بوشكين » أن بدايته التجديدية فى حقل الدراما الروسية لا تستقيم هى وتلك القواعد والنظم الخاصة بالمسرح الكلاسيكى . . لذا فقد وقف ضد الفهم الضيق للعديد من المصطلحات الكلاسيكية مثل (مشاكلة الواقع أو الاحتمال) كما نفى مفهوم « اللياقة » و « الغلظة »بل إنه رفض أسس الدرما الرومانسية عند

« بيرون » وعلى وجه الخصوص البطل الذى لايحمل فى داخله سوى جانبٍ واحد ، كما يأخذ « بوشكين » بمسرحيات « بيرون » التى تحمل وجهة نظر فكرية وتصلح للقراءة دون العرض على خشبة المسرح ، بل إنه وضع نصب عينيه أن يخلق عملاً مسرحياً بالمعنى الحقيقى . . .

ولقد اعتبر « بوشكين » أن موقفه تجاه الإصلاح الكلى للدراما الروسية لا يجدى معه التعديلات السطحية (للقواعد المحددة) ، ولهذا فهو لم يتقبل المسرحيات التى كتبها « أزيروف » والتى لم تنجح فى أن تتغلب على الشكل الضيق للتراجيديا الكلاسيكية . وقد جاءت مسرحيته « بوريس جودنوف » خالية من القواعد المعروفة والطرز الدرامية المجربة ، إذ إنه قد بناها بروح شكسبيرية حيث قدمت له وثائق القرنين التاسع عشر والثامن عشر . . وكذلك دراسات « كارامزين » التاريخية المعطيات اللازمة لما يريد أن يصوره ، وأوحت إليه مآسى شكسبير بالقلب الفنى : فالمسرحية لا تحافظ على وحدة المكان ؛ إذ إن الأحداث فيها تنتقل من ميادين موسكو إلى بولونيا إلى الكنائس . .إلخ . كما أنها لا تأخذ بوحدة الزمان : فحوادثها تدور خلال عدة سنوات ، وإن كانت تحتفظ بوحدة الحدث كما يفهمه هو .

ولما كان البناء الكلاسيكى يطالب بوحدة الأسلوب فإننا نرى « بوشكين » يحطم هذا المطلب ويأخذ باتجاه تفرد اللغة عند كل الشخصيات ، بل إننا نرى أن الشعر السداسى الوزن والتفعيلة يتبدل إلى

شعر مرسل خماسى التفعيلة . والأكثر من ذلك أن بعض المشاهد فى هذه المسرحية كتبت نثراً ؛ كما أن « بوشكين » رفض التقسيم التقليدى للمسرحية إلى خمسة فصول ؛ إذ قد وضع مسرحيته فى أربعة وعشرين منظراً منفصلة ،

فى (١٨٣٠م) أنجز « بوشكين » ما أسماه « بالتراجيديا الصغيرة » وهى « البخيل والفارس » و « موتسارت وساليبرى » و « الضيف الحجرى » و (وليمة فى زمن الطاعون) ، وهى بالطبع ليست تراجيديات بالمعنى الاصطلاحى ؛ وإنما مشهد رئيسى واحد خالية من المقدمات والشخصيات الثانوية .

فى « موتسارت وساليبرى » التى طبعت (١٨٣٢م) نرى نموذجين مختلفين » هما « ساليبرى » المؤلف الموسيقى الدائب العمل الموهوب ، والذى يعانى فى سبيل إبداعاته كل الآلام النبيلة ، ثم « موتسارت » العبقرى الذى تتوالى إبداعاته دون ما معابر من الآلام أو الدأب أو الفشل . . إذن فإن وجود « موتسارت » فى ذاته إهانة « لساليبرى » ، بل إنه يرى أنه نتاج ظلم زمنى كبير ، فيقرر قتله مستنداً فى ذلك إلى أن « موتسارت » عبقريته فذة لم تخلق لهذا العالم ، ولايوجد فى هذا الكون من يساويه فى عبقريته كى يخلفه بعد موته ! لذلك فإن « ساليبرى » باسم النشاط والاجتهاد وباسم البشر الذين لا يرقون إلى . عبقرية «موتسارت »

يصب له السم فى الشراب كى يعيش الناس العاديون فى طمأنينة دون حسد !

أما فى « البخيل والفارس » التى طبعت (١٨٣٦م) فنرى مفهومين واضحين للحياة : مفهوم الابن الذى يغرق فى الملذات والذى لا يبالى بشىء ، ومفهوم الأب البخيل الذى يحرم نفسه حتى الاحتياجات الأساسية للحياة ، ويقيم حساباً لكل شىء . . بل إنه يرى أنه يستطيع أن يسيطر على العالم بأمواله . . والصورة التى يطرحها بوشكين لهذا البخيل لا تبعث على الضحك مثل بخيل موليير ؛ إذ إن بخيل بوشكين يبنى أفعال وجوده على فكرة فلسفية ، فهويرى أنه يقترب من الله بقدر مايزداد مالديه من ذهب ! وينهى « بوشكين » الصراع بانتصار الابن المبذر ! .

ويعود « بوشكين » إلى الفكرة نفسها . فكرة « البخيل والفارس » فى « الضيف الحجرى » التى طبعت (١٨٣٩م) حيث يطرح نموذج الإنسان المبذر لوجوده ، والمتحدى لكل شىء : فدون جوان الذى قتل قائده ينفى من مدريد ، لكنه يعود للمدينة ويلتقى « دونا آنا » زوجة القائد الذى قتله وهى فى طريقها لزيارة قبره . . فيؤخذ بجمالها ، ويقرر التغرير بها ، فيتنكر فى زى راهب كطريق لمحادثتها ويتوالى الكشف عن نفسه شيئاً فشيئاً حتى يحدثها كعاشق ، فتذعر المرأة بداية الأمر ، ثم تضطرب وتضعف ، وفى النهاية تستجيب لحديثه ، إلا أنه لا يستطيع أن يكشف

لها عن الحقيقة أى أنه قاتل زوجها ، غير أن دون جوان فى هذه المرة يجد أن مغامرته تختلف :

فهذه المرأة فتنته ولكن رعشة الخوف تنتابه ، لقد أراد فى البداية غوايتها وإذ به يرى نفسه أسيراً لجمالها ، إلا أنه ينتزع الخوف ويتحدى كل شىء ، فتلك هى طبيعته ، بل إنه يشير إلى تمثال القائد الذى قتله وزوج هذه المرأة داعيا إياه إلى الذهاب إلى منزل زوجته ، « دونا أنا » ، ليراها بين أحضان عاشقها الجديد ، ويجيبه التمثال بالإيجاب بحركة منه ، فيهتز قلب دون جوان لتحرك التمثال . لكنه يتماسك ويذهب إلى بيت « دونا أنا » ويغازلها حتى تستسلم ، بل إنه يصل الأمر إلى الاعتراف لها بأنه قاتل زوجها برغم ذلك تستمر فى استجابتها له وهنا يدرك « دون جوان » أنه انتصر ، وأنه أقوى من جميع القوانين ، بل أقوى من كل القيم والأديان . . وحين يستعد للذهاب بعد انتصاره يدخل تمثال القائد ويمسك « دون جوان » بيده الحجرية ويجره إلى العقاب الأبدى وهو يردد اسم معشوقته ! .

إن « بوشكين » فى « التراجيديات الصغيرة » كشف بنظرة ثاقبة عن « الولع الإنسانى » وهو يغوص فى ظلال المعاناة البشرية برقة فائقة ، ومدركاً كنه الإحساسات الحقيقية : فموضوع البخل والحسد والحب تلقى هنا اختصاراً غير عادى ومعالجة فلسفية عميقة .

وفى (١٨٢٩ م) كتب « بوشكين » « حورية البحر » مستلهماً الحياة

الروسية الشعبية عائداً إلى العناصر الفانتازيا الروسية فى الحكاية الخرافية ، ثم انتهى فى (١٨٣٥م) من كتابة « مناظر من العصر النبيل » وهى دراما تاريخية فلسفية قومية حيث يحتل المكان الأول فيها الصراع بين عالمين : عالم الأعيان النبلاء مع عالم سكان المدن الملاك الديمقراطيين ؛ كما وصلنا مقطع باسم «عن هؤلاء السادة المشاهير» » (١٨٣٥م) وهو قريب من حيث الفكرة « بمناظر من العصر النبيل » . ثم وصلنا أيضاً تخطيط لدراما خرافات القرون الوسطى ، وكذلك مقطع بعنوان « وأنت كنت هنا » (١٨٣٥ م) ورسم تقريبى تمهيدى لكوميديا « خلال أسبوع سأكون فى باريس » (١٨٣٤ م) و (١٨٣٥ م) ..

وقد كتب « بوشكين أعمالاً كاملة فى مجال الأوبرا منها « روسيلان ولودميلا » و « يفيجين أونيجين » ويعتبر الدارسون الروس « بوشكين » أصبوحة الربيع الروسى ؛ إذا أن ما فعله « بوشكين » لروسيا هو مافعله دانتى وبترارك فى إيطاليا ، ومافعله عظماء القرن الثامن عشر لفرنسا ، وأيضا كما فعله « لسنج » و« جوته » لألمانيا .

الدراما الرومانسية

تشكلت بدايات الحركة الرومانسية فى الغرب فى نهاية القرن الثامن عشر، إلا أنها لم تستكمل ملامحها الأساسية تماماً إلا فى الفترة من (١٨٢١م) حتى (١٨٣٠م) حيث كانت هناك عدة أساليب متباينة فى اتجاهاتها الفكرية ، والتى تؤكد الخصائص المميزة الفريدة للشخصية ، وكذلك الحماس للعذاب فى الحياة حيث كان يقابلها الاتجاه العقلى لابطال الفن الكلاسيكى ، ولقد تشعبت الرومانسية بعناصر متعددة منها : التمرد والعصيان وحماس المزاج الاجتماعى المعارض ، والروح القومية ؛ وفى بعض الأحيان بخصائص ثورية : فالبطل الرومانسى يهلك . . إلا أن هلاكه يعالج بشكل رومانسى : أى باعتبار أنه تحد للعالم المحيط به ! وفى هذا يتجلى الاحتجاج القومى للرومانسية المتنورة الفكر .

ولقد تبلور اتجاهان للرومانسية . أولهما : هو الانعزال فى دائرة مهمة حافلة بأحاسيس إنسانية هائمة مزينة بأحداث تاريخية فى روح حالمة استعادة للماضى ؛ والآخر الذى انطلق من أحداث محلية إلى عالم خيالى فى تلاعب تجريدى . . وقد ظهر واضحاً هذا التطرف الرومانسى بشقيه فى ميدان الدراما الرومانسية ، ويمثل الاتجاه المتنور الفكر الشاعر .

م ميخائييل يورفيتش ليرمونتوف (١٨١٤ - ١٨٤١ م) :

أنهى فى (١٨٣٠م) أولى مسرحياته « الإسبانيون » ، وهى تراجيديا فى خمسة فصول سياسية ومشبعة بالحماس الثورى العالى ، والاحتجاج الشديد ضد عدم المساواة الاجتماعية والنفاق والعيون الاجتماعية ، وتجرى أحداثها فى العصور الوسطى ، وإن كانت تحمل ملامح فنية وتأثيرات من كل من «لسنج» و«والترسكوب» و«هيجو» و«بيرون» وعلى وجه الخصوص « شيللر » إذ ندرك فى التراجيديا صدى مباشراً من مسرحية « شيللر » « دون كارلوس » ، وقد يرجع ذلك إلى أن مضمونها ومواقفها ترتبط بزمن محاكم التفتيش الإسبانية .

وفى السنة نفسها كتب « لير مونتوف » مسرحيته الثانية « الناس والفزع » ، وهى دراما فى أربعة فصول نثراً ؛ وفى (١٨٣١م) كتب كذلك « الإنسان الغريب » حيث عاد فيها « ليرمـونتوف » إلى الواقع الروسى متبعاً تقاليد كتاب الدراما التقدمية فى القرن الثامن عشر . إذ فى هاتين المسرحيتين يقف « ليرمونتوف » ضد نظام القناعة ، وإن كانا يحملان الكثير من السيرة الذاتية : ففيها تظهر علاقة الشاعر بأحداث تجاربه فى الحياة الخاصة وتحمل كذلك مسرحيته «الأخان»(١٨٣٦م) بعضاً من سيرته الذاتية ، وإن كانت تتسم بتركيب معقد ، وإعداد

متعمق للشخصيات .

أما « حفلة تنكرية » الدراما الشعرية التى كتبها عامى (١٨٣٥ - ١٨٣٦م) ، فتظهر بيئة وطباع الطبقات العليا بعد انسحاق (اللعبة الديسمبرية) ، وعنوان المسرحية يشير إلى حياة الأرستقراطيين التافهة الكاذبة المستترة والتى كشف الشاعر عنها ذلك القناع ، فالمقصرة وقاعة التنكر هما المركز الروحى للاهتمام بالطبقة العليا ، وقد رسم « ليرمونتوف » فى الخلفية شخصيات مستقلة لعالم التنكر ، مثل الأمير الذى تقع فى حبه امرأة تتصف بضعف الإرادة والخلاعة ، والبارونة المسترسلة أبداً فى النميمة عن صديقتها الحميمة حتى تؤدى بها إلى الهلاك ، ثم « كازارينا » التى تحترف الاحتيال فى لعب القمار .. و« شبريخا » المرابية « اللقاقة » « الخباصة » الواشية .. إلخ . وفى مركز المسرحية شخصية « أرينين » الهائج كالبركان ، والذى يحتقر دائرة الطبقة العليا ، ويدرك بعده عنها وفى الوقت نفسه تبدو على نفسه بشكل لا يمحى تأثير هذه البيئة كالفتور والأنانية والشك الذى لا مبرر له . . إلخ . . . هذا وإن كانت شخصية البطل الرئيسى تتسم بخيبة الأمل والشجن والاحتقار للبيئة المحيطة والعزلة المتعجرفة – فإن تلك السمات جميعاً كانت الملامح المميزة لكل من التقدميين فى ذلك العصر . . وإن كنا نلمح أن المؤلف قد صور بطله الرومانسى معطياً إياه كمًّا من العواطف غير العادية والولع الغامض ، كما أدخل المؤلف فى بناء

الشخصيات الدرامية عنصر المجهول الذى لا ينكشف إلا فى نهاية المسرحية ، فأفعم الدراما بالملغزات. ومسرحية «حفلة تنكرية» تزاوج مابين ملامح الواقعية وأسلوب المسرح الرومانسى ، وأما حوار الشخصيات وعلى وجه الخصوص شخصيات الأبطال فمشبع بالمجازات والاستعارة والهتافات الانفعالية .

فيساريون جريجور يفينش بلينسكى (١٨١٠ - ١٨٤٨ م)

كتب هذا الثائر الديمقراطى والناقد دراما بعنوان : « د . يمترى كالينين » (١٨٣٠م) . . والشخصية الرئيسية فى هذه الدراما تنطق بالمنولوجات الحامية ، وتستخدم على نطاق واسع جميع المدخرات من العبارات والكلمات فى قاموس الرومانسية ، وكل تلك المنولوجات تسعى احتجاجاً على نظام القنانة ، بل إنها أكثر حماسة مماجاء فى دراما « ليرمونتوف » « الإنسان الغريب » ونرى النبلاء فى « ديمترى كالينين » عديمى الشفقة . . قساة . . مستبدين يسخرون من الشخصية الإنسانية ، أما العبيد الإقطاعيون فهم رفقاء . . ودعاء . . وشرفاء وينحدر « ديمترى » من هؤلاء العبيد . . وقد قتل ابن أحد أسياده ؛ لأنه سخر وضحك من تسميته بالعبد ، وفى نهاية المسرحية يحطم أغلاله بهذه الكلمات :

« رمز العبودية المخجل . . اغربى أيتها الأغلال عن عينى . . لا تثقلى

يدى . . لا تجلبى لها العار . أنا أعيش حراً . . ثم أموت » . . هذا ومع أن الجدارة الفنية لهذه المسرحية محدودة للغاية فإنها توصف داخل الرومانسية التقدمية كاتجاه فى الدراما الروسية .

يستور فاسيليفتش كوكلينك (١٨٠٩ - ١٨٦٨ م) :

كتب أولى مسرحياته بعنوان « توركواتوتاسو » (١٨٢٣م) . وهى دراما فانتازيا عن الشاعر الإيطالى الذى سميت المسرحية باسمه . وقد أثارت هذه الدراما الانتباه إلى المؤلف ثم كانت مسرحيته الشهيرة « العناية الإلهية تنقذ الوطن » (١٨٣٤م) . . ولقد استعار المؤلف هذه التسمية من أشهر جملة حوار فى تراجيديا « أزيروف » « ديمترى ودونسكوى » بيد أنها لا تمثل اهتماماً بالأحداث التاريخية الحقيقية بقدر ماتبدو هذه الأحداث حجة فقط للعرض الرومانسى للشعور المخلص للبرجوازية الروسية المتنورة ، وإن كانت قد بنيت على تأثيرات سطحية . .

وتوالت مسرحياته مثل «الأمير ميخائيل فاسيليفتش سكرين شوتسكى التى تحمل ملامح قوية للتقاليد القومية ، وعلى غرار روح القومية الرومانسية كتب كذلك «الأمير دانييل خولسكى » و « إيفان رابون - الصياد الملائكى » و « خادم الضابط » وتتسم مسرحياته القومية

بأسلوب منمق . . وهى تصور القتل والتسمم ، وإن كان ليس بها شخصيات حقيقية لصراعات أصيلة ؛ إذ من الملاحظات أن أبطال (كولينك) أبرق لأفكار تفصح عن رأيها فى صيغ بلاغية .

نيوكولاى أليكسندر فينش بوليفوى (١٧٩٦ - ١٨٤٦ م) :

حاول « بوليفوى » أن يظهر على المسرح الدور التاريخى للبروجوازية الروسية وذلك فى مسرحيته التاريخية « شيخ الأسطول الروسى » ثم نرى فى مسرحيته « الأرجولكين التاجر من نوفجورد » (١٨٣٨ م) شحنة من التأييد لحكم الملكية المطلقة وفى إطار هذه الأفكار نفسها كتب بقية أعماله . لقد لاقت مسرحياته التى كتبها وفق قواعد الميلو دراما الشعبية نجاحاً كبيراً ؛ إذ أنها تساعد الحكومة بحيث بدت كما لو أنها للمؤلف الرسمى للدولة ، وإن كان « يوليموى » نفسه يعانى صراعاً داخلياً من جراء ذلك : ففى (١٨٣٨ م) أى فى الوقت الذى كتب فيه هو نفسه مسرحيته وفى « آجولكين » كتب كذلك مسرحية « الشرف والموت » حيث البطل فيها صانع شريف « جيوج » دافع عن أخته « كلارا » المسكينة التى تم عليها كونت على نحو شنيع ، وقد أحرز الأخ نصراً على القدرة المطلقة للأرستقراطية ، والمسرحية مشبعة بالأفكار القومية للاحتجاج بروح التقاليد الرومانسية . وقد لاقت هذه المسرحية نجاحاً ، إلا أن الصيحة العنيفة « لنكولاى الأول » جعلت « بوليفوى » يعود مرة أخرى سريعاً

إلى ماكان عليه .

وفى (١٨٤٠م) كتب « بوليفوى » أشهر مسرحياته « باراشا السيبيرية » حيث يظهر فيها بوضوح الصراع المعذب للمؤلف مع ذاته . . وهو يحكى عن بطولة فتاة سافرت من سيبيريا إلى بطرسبرج كى تتوسط لوالدها الفلاح للصفح عنه . . وقد نجحت الفتاة فى التماسها إذ انطرحت على ركبتيها أمام القيصر ، وأمام هذه النهاية فإن « بوليفوى » يدعو المجتمع مباشرة إلى المهادنة والمصالحة مع القيصر .

ويعتبر « بوليفوى » أقرب إلى «كوكلينك » . . وهما معاً يقفان على رأس قائمة جماعة المؤلفين البارزين لنمط المسرحيات الرومانسية القومية .

الفودفيل الروسى :

عرف المسرح الروسى الفودفيل فى بداية القرن التاسع عشر : أى فى الوقت الذى كان فى فرنسا قد تشكلت ملامحه كنوع درامى ، فعن طريق الترجمات لبعض هذا النوع الدرامى أو إعادة الصياغة أو محاكاة المضمون أو الاقتباس - سرعان ماغمر خشبة المسرح الروسى الفودفيل الفرنسى ، والذى بقى تأثيره فى روسيا لسنوات عديدة . . واستطاع الفودفيل خلال أكثر من عشرة سنوات أن يسيطر على خشبة المسرح الروسى ماراً بمراحل عديدة فى طريق تطوره ، وتحت تأثيرات كثيرة

اكتسب ملامح ذاتية ومبتكرة .

يعتبر «م.م.شاخوفسكى» مؤسس هذا النوع الجديد ، وأول فودفيل روسى كتبه هو : « الشاعر القوقازى » الذى ظهر على المسرح (١٨١٢م) وقد قيل : إن هذه المسرحية لا تعد نموذجاً مكتملاً لطراز الفودفيل ، حتى إن مؤلفها نفسه سماها : « أوبرا فودفيل » .. ثم فى «١٨١٤م» عرضت له « أوبرا فودفيل لومونوسفوف » وعلى إثر ذلك تتابعت أعمال « شاخوفسكى » مثل « المعلمان » (١٨١٩م) و « هرج جديد »(١٨٢٠م)و «ممثل فى الوطن »(١٨٢٠م)و « المرأة التى تسير وهى نائمة » (١٨٢١م) إلخ .. وسرعان ماتحسن « شاخوفسكى » وتطور فى تكنيك الفودفيل . وفى الوقت نفسه أكد «شاخوفسكى » للفودفيل الروسى الملامح المبكرة له من حيث الخلو من المعنى والتجريد فى تطور الأحداث ، وانعدام الخصوصية فى رسم الشخصيات .

أما الكاتب الأكثر مهارة فى كتابة « فودفيل الصالونات » فهو « ن . أى خميلينتسكى » الذى كتب سلسلة من مسرحيات الفودفيل مثل (الببغاء القديم) (١٨١٩ م) و« الحجر الصحى » (١٨٢٠م) و« الملعوب الجديد» (١٨٢٢م)..إلخ.. وبالطبع فإنه من العبث البحث فى هذه المسرحيات عن أية علاقة بينها وبين الأحداث المعاصرة لها.. فكلها عروض عابثة مضحكة ، ملأى بالنكات !

وخلافاً « لشاخوفسكى » و « خميلينتسكى » فإن أليكسندر

إيفا نوفيتش بيساريف (١٨٠٣ – ١٨٢٨ م) قد تخصص فى الفود فيل ، ولقد بلغ فى هذا النوع إتقاناً مشهوداً له . . ولقد فتحت شخصية « بيساريف » الطريق لعديد من كتاب الفودفيل .

أما فيما يخص العلاقة بين فودفيل بيساريف والحياة الاجتماعية – فيمكن القول بأن فودفيل «بيساريف» أيضاً سطحى المضمون وتافه الشخصيات ، وإن كان فى مجال الشعر المكتوب به زلقاً وذا حماس متقد ؛ إذ قد سار « بيساريف » إلى ما هو أبعد من مجرد النكات العادية ، فهو قد اشتبك فى المناقشات الأدبية لعصره ، وراح يسخر بحنق من الصحفيين والكتاب والنقاد ، ولقد أثار ضجة فودفيل « المدرس والطالب » (١٨٢٤ م) إذ استخدم بيساريف بصورة واسعة أسلوب الجناس ، وسخر بحدة أدبية من « بوليفوى » .

ويمكن القول بأن كل من « شاخو فسكى » و « خميلينتسكى » و « بيساريف » هم الممثلون الكبار للفود فيل الروسى فى أول مراحل تطوره . والمرحلة الجديدة فى تاريخ الفود فيل الروسى بدأت مع عام (١٨٤٠ م) .. فلقد نزل الفودفيل البراق الفكه عن مكانته للفودفيل البرجوازى الثقيل النكات والذى يميل إلى ظروف الحياة الفرنسية او إلى الطراز الفرنسى عموماً ، وتطور هذا النوع بعد ثورة يوليو « ١٨٣٠ م » وقد خلف جيل الكتاب النبلاء فى بداية القرن التاسع عشر فى المسرح كتاب للفودفيل غالبيتهم من المثقفين ، وقد ظهر الممثلون

باعتبارهم قبل كل شىء مؤلفين للفودفيل .

ولقد تغير كذلك التكوين الاجتماعى لمتفرجى المسرح الدرامى : فلقد هجر الجمهور الأرستقراطى المسرح ، وتجمع بصورة رئيسية حول عروض الفرق الفرنسية التى هى أكثر أناقة ، وكذلك عروض الأوبرا باليه .. وبدلاً من جمهور النبلاء فى المسرح الدرامى ظهر سكان المدن الدين لا يهتمون إلا بالماديات والموظفون والتجار ، وقد حمل هذا الجمهور ذوقه ومطالبه واستجاب للفودفيل الفرنسى بأبطاله الذين يتشكلون من السذج وضيقى الأفق والموظفين والتجار إلى حد ما لرغبات هذا الجمهور الذى رأى على المسرح شيئا مشابهاً لحياته المعاصرة .

وشيئاً فشيئاً ظهرت فى الفودفيل موضوعات وأفكار ديمقراطية . . فى رسم الشخصيات ، وكذلك فى المقاطع الشعرية . . ثم أخيراً تجرأ الفودفيل على الهجمة الهجائية الموجهة للحياة المعاصرة . . مثل « رجل الأعمال » للمؤلف (ف . ا . كونى)

وعلى وجه الخصوص ظهر بوضوح التعبير عن الاتجاه الاجتماعى فى فودفيل الشاعر الروسى الشهير « ن . ا . نيكراسوف (١٨٢١ – ١٨٧٧ م) الذى كتب فى بداية (١٨٤٠ م) سلسلة من المسرحيات منها عشر من نوع الفودفيل أغلبها إما ترجمة أوإعدادا عَن مسرحيات فرنسية مثل « هذا معنى عشق ممثلة . . و « لا يمكن إخفاء المخرز فى الكيس » وبعضها مسرحيات أصيلة تحمل أفكاراً قومية مثل (الممثل) (١٨٤١ م) (مرابٍ

من بطرسبرج) . . (١٨٤٤م) . . .

ومع نهاية (١٨٥٠م) بدأ فى الهبوط تدريجاً الثقل النوعى للفودفيل وسنة بعد سنة أخذ يخبو ، بل وانحط تماماً على يد (ماسنيتكى) وكتاب نهاية القران التاسع عشر ، ولقد تلاشت من الفودفيل سماته الخاصة ، بل إن التسميات الفرعية للمسرحيات بدأت تشير إلى تغير جوهر هذا النوع الفنى مثل « فودفيل فارس » أو : « نكتة فود فيل » إلخ . . . وبرغم كل ذلك يمكننا القول بأن العناصر القديمة للفودفيل استمرت تعيش فى كوميديات كل من « جوجول » و« تورجنيف » و « إستروفسكى » وغيرهم من الكتاب الكلاسيكيين . . الروس .

* * *

الدراما الروسية

(من أربعينيات القرن التاسع عشر حتى ثورة ١٩٠٥)

تبدأ مرحلة جديدة من تاريخ الدراما الروسية مرتبطة بحركة المجتمع والأفكار التقدمية فى أربعينيات القرن التاسع عشر ، وذلك بالأعمال الفنية للكاتب « نيكولاى فاسيليفتش جوجول » (**١٨٠٩ - ١٨٥٢ م**) وكذلك نشاط الناقد « بيلنسكى » ، إذ إن الكتابات الإبداعية الدرامية والآراء الجمالية لـ « جوجول » حددت وأكدت الواقعية النقدية فى الدراما الروسية : ففى المسرحية غير المكملة « فلاديمير الثالث » (**١٨٢٣ م**) نجد السمات التى اختطها « جوجول » المجدد لطراز الكوميديا الواقعية الاجتماعية والتى بعبقريته حققها فيما بعد فى كوميديا « المفتش العام » (١٨٣٦ م) .

فى هذه المسرحية صور « جوجول » بقدرة فنية عظيمة مشاهد منتشرة فى حياة الريف وظروف المعيشة الروسية ، وخلق شخصيات عادية حقيقية من الحياة : فشخصية « حاكم المدينة » تحس أنه قد استحضرها ولاحظها بدقة خارقة .. فهى قريبة للغاية من الحقيقة وذات ملامح شخصية خاصة ، وإلى جانب ذلك اتسعت هذه الشخصية حتى عبرت عن البيروقراطية الشاملة العامة التى تتحكم بلا قوانين . وأيضاً

الحكم المطلق لنظام الاسترقاق فى روسيا ، كما أن شخصية « خليستاكوف » اكتسبت أيضاً معنى صار يعرف باسم « الخليستوكوفية » وهلم جراً . . وليس فى هذه الكوميديا أبطال إيجابيون ، وقد قال مؤلفها : « الوجه النبيل الشريف والوحيد فيها كان الضحك » الضحك المقتص الغاضب الساخط للكاتب والمواطن الذى يجرى محاكماً الواقع الجارى .

وقد أثار «جوجول » « قضية الدور الاجتماعى للكوميديا كفن : فدافع عن قواعد « الكوميديا الراقية » وهو لم يدع إلى التصوير الصادق للحياة فقط ، بل إلى محاكاتها أيضاً ، وهو بذلك قد حدد التركيب الفكرى للتجديدات المسرحية . ومسرحيات « جوجول » الأخرى « الزواج » و « المقامرون » طورت قواعد الواقعية النقدية والتى فيها واصل فيها تجديداته المبتكرة .

وعملية التدانى من الحياة فى الأدب القائم على أسس ديمقراطية أخرجت إلى خشبة المسرح شخصيات صغار الموظفين ونماذج البرجوازية الصغيرة وغيرها . . وكل ذلك أدى إلى تحديد أفكار ونماذج وشخصيات الأعمال الفنية « للمدرسة الطبيعية » فى أربعينيات وخمسينيات القرن التاسع عشر .

وقد حدث تغيير جوهرى بالنسبة للأنواع المسرحية الشعبية مثل : « الميلودراما » و « الفودفيل » . . فالميلو دراما أصبحت تصور أهوال

القاع الاجتماعى مثل الأيتام من الكادحين الشرفاء الذين وجدوا أنفسهم ضحايا أبرياء وأما « الفودفيل » فقد صار يحوى صوراً من الحياة ومقاطع شعرية هجائية لأمور ملحة جارية ، مثل : «كاتب العقود أمام مكتبه » (١٨٣٤م) و(الذنب والتأدب» (١٨٥٥م)لـ (د . ت . لينسكى) و « مساكن بطر سبرج » و« رجل الأعمال » (١٨٤٠م) لـ (ا . كونى) « نائب السترة الرسمية » لـ (ب . ا . كاراميجين) وغيرهم .

وتمتعت الدراما الروسية فى هذه الفترة بتأثير الرواية والقصة القصيرة كفنين متطورين فـ « المعطف » (لجوجول) و « المساكين » لـ « دستيوفسكى » أثرا بشكل فعال فى الدراما الروسية ، وخاصة تلك التى ظهرت فيها فكرة الدفاع عن «الأذلاء المهانين » وإثبات الكرامة الإنسانية المهانة ، وكانت تلك هى الموضوعات النموذجية . أما بالنسبة لدرامات « إيفان سير جيفيتش تورجنيف » (١٨٨٣ - ١٨١٨م)فإنه على الرغم من أن مسرحيته « الإفطار عند الرئيس » (١٨٤٩م) قريبة الشبه من الكوميديا الفضاحة لـ « جوجول » - فإن مسرحيته « المتطفل » و « الأعزب » (١٨٤٩م) يتمتعان بجو انفعالى وجدانى ، ومشبعتان بإنسانية وحنو نحو الإنسان البسيط ، وهما تعتبران صفحة جديدة فى تاريخ الدراما الروسية . . وفى كوميديا « شهر فى الريف » (١٨٥٠م) جاء « تورجنيف » بنماذج جديدة من الناس الذين قابلهم فى الحياة متناولاً إياهم بتحليل نفسى عميق وشاعرية رقيقة . وظلال وأمزجة

شخصيات مسرحيات « تورجنيف » نلمحها منعكسة بشكل واضح فى درامات « تشيخوف » . . هذا وقد أفسحت درامات « تورجنيف » إمكان الكتابة المسرحية الواقعية .

أما الدور الحاسم فى تطور الدراما الروسية . . فقد قام به « أليكسندر نيكولاى يفتش إستروفسكى » (١٨٨٦ – ١٨٢٣م) إذ يعود إليه الفضل فى تشكيل الدراما الروسية الأصيلة . . ويعد « إستروفسكى » خليفة كل من : « فونفيزين » و « جريبو يدوف » . . و « جوجول » فى تطوير التراجيديا ومؤلفيها ، إذ قد خلق الدراما الواقعية فى طرازها الجديد والتى تتلخص ملامحها الأساسية فى أنها تشمل شخصيات مستمدة من الواقع المعاش ، والسعى إلى تحديد خصائص هذه الشخصيات من خلال حديثهم ، كما أن هذه الشخصيات التى خلفها المؤلف كانت متنوعة وذات صفات إنسانية أصيلة ، وفى الوقت نفسه كانت مصاير شخصياته تحددها البيئة والتربية والمهنة ومرتبطة أيضاً بكل النظام الاجتماعى الملكى والعلاقات العائلية .

ولقد رأى الناقد « دوبرو لوبوف » فى « إستروفسكى » كاتباً معبراً عن العصر وفاضحاً لملاك روسيا البرجوازيين . . وكذلك الديوانيون البروقراطيون ، كما اعتبره شخصية « كاترينا » فى مسرحية « العاصفة » تجسيداً لشدة احتجاج الشعب وقد كشف « إستروفسكى » عن شجاعة وكد وصفاء خواطر الناس العاديين فى روسيا ، ورسم فى مسرحياته صوراً

كبيرة لمجموعات اجتماعية مختلفة فى المجتمع الروسى .

وعندما أصبحت روسيا فى السبعينيات والثمانينيات . . أى على طريق تطور الرأسمالية – فإن « إستروفسكى » استطاع أن يقدم بقدرة فنية عظيمة انحطاط النبلاء وطبقتهم وسلطان المال ، وأخلاق النفاق البرجوازى ، والمصير المؤلم للمثقفين الذين لا ينتمون إلى الإرستقراطية والمرتبطين بالكون عن طريق من يملكونهم . . وذلك فى مسرحياته : « الغابة » (١٨٧١ م) و« الضحية الأخيرة » (١٨٧٧ م) و« الهواة والمواهب » (١٨٨١ م) و« فتاة بلا مهر » (١٨٧٨ م) و« مذنبون أبرياء » (١٨٨٤ م) .

هذا وقد ساعد إنتاج « إستروفسكى » الدرامى على تطور الأنواع الدرامية الروسية المختلفة مثل « الكوميديا الفضاحة » و « المسرحيات العاطفية » و « المسرحيات التاريخية » . والدراما الاجتماعية النفسية و « تراجيديا الوجود » و « الحكايات الشعبية الشاعرية » وغيرها . .

ولقد امتازت الكوميديا الهجائية الفضاحة المنتقدة التى كتبها : « إليكسندر فاسيليفتش سوخوفو – كوبيلين » (١٩٠٣ – ١٨١٧ م) باشتمالها على صراع رئيسى حاد وفريد وشخصيات متوهجة للغاية ، وقد كشفت ثلاثيته : « زواج كريتشينسكى » (١٨٥٥ م) و « العمل » و « موت تاريلكين » عن تعفن النظام البيروقراطى والمأجورين ، وكذلك البلادة الصارمة للمحكمة القيصرية والبوليس .

وكتب - وفق تقاليد جوجول - الثائر الديمقراطى « ميخائيل يفجرإفوفيتش . . سالتيكوف - شيدرين » (١٨٨٩ - ١٨٢٦م) مسرحياته الهجائية المشبعة بالتهكم والسخرية القاسية مثل « موت بازوخين » (١٨٥٧ م) و « الأشباح » (١٨٦٥ م) . .

وتكاثر فى الخمسينيات والستينيات من القرن التاسع عشر الاهتمام بالحياة الشعبية وبالمسرحيات التى تتناول حياة الريف أى تلك التى ينعكس فيها المزاد الشعبى . . وكتب « أليكسى أنتيوفيتش بوتيخين » (١٨٢٩ -١٩٠٨م) « حكم الناس ليس حكم الله » (١٨٥٤م) و « ذرة الشاه روح » (١٨٥٤م) و « الخير الغريب لا يأتى بنفع » (١٨٥٥) هذا وقد تمتعت بنجاح كبير دراما (ا . ف . بيزمسكى) « المصير المرير » (١٨٥٨م) . . والتى عكست بصدق حياة الفلاحين الشاقة .

وكان لأحداث الستينيات من اضطرابات الفلاحين وحركة الثوار الديمقراطيين ، وممارسة الحكومة للاضطهادات القاسية دور فى إثارة الاهتمام إلى الموضوع التاريخى المرتبط بالأفكار عن ماضى ومستقبل روسيا ، وظهرت تبعاً لذلك مسرحيات « حلم على نهر الفولجا » (١٨٦٥م) « لإستروفسكى » و « عروس القيصر » (١٨٤٩م) و « فتاة الثلج » (١٨٥٩م) للكاتب والشاعر « ليف أليكسندر فيتش ميى » (١٨٢٢ - ١٨٦٢م) . . وتعدُ أحسن الدرامات التاريخية التى تنتمى إلى

هذه الفترة ثلاثية «أليكسى كونستا نتيوفيتش تولستوى» (١٨١٧م- ١٨٥٦م) «موت إيفان الرهيب» (١٨٦٧م) و«القيصر فيودور إيفانوفيتش» (١٨٦٨م) و «القيصر بوريس» (١٨٧٠م) وهى تمتاز برقة رسم وتصوير الاحتواءات الداخلية للشخصيات وقوة وفصاحة لغتها، وفيها شجب «تولستوى» الطغيان والحكم المطلق.

كانت سلطة الرقابة وثقل تدابيرها المانعة عبئًا شاقاً على الدراما والأدب، ولقد اشتدت وتفاقمت فى ذلك الوقت التناقضات الاجتماعية واستقر بشكل واضح الجوهر الجشع للرأسمالية: الجرائم.. التعطش المستأثر بالربح.. كل ذلك صورته الميلودراما الشائعة للكاتب «نيكولاى أنتيبوفيتش بوتيخين». (١٨٣٤- ١٨٩٦م) مثل «موضوع الساعة» و«حادثة مغلقة» (١٨٧٤م) و«حركة تحلق» (١٨٧٥م) و«بؤساء الروح» (١٨٧٩م).. وغيرهم..

وظهرت فى الستينيات والثمانينيات من القرن التاسع عشر وفرة من المسرحيات ذات البناء المتقن من حيث فعالية مواقفها وتعقيداتها، لكنها خلو من التعبير عن المضمون الاجتماعى.

ولقد استعار مؤلفو هذه المسرحيات الأساليب والشخصيات من كثير من رصيد مسرحيات أوربا الغربية محولين إياها إلى الطابع الروسى، ومثل هذه المسرحيات المتكلفة نجدها عند «فيكتور إنتونوفيتش دياتشينكو» (١٨١٨- ١٨٧٦م) فى «الطالبة» و«الستائر الدنيوية»

و«المربى» و«الجريمة الخفية» و«الشرك المنصوب».. وغيرها... ومسرحيات الترفيه والتسلية والخيانة عند «فيكتور أليكسندر وفيتش كريلوف» (١٨٣٨- ١٨٠٦م) فى «ملعوب» و«حالة حصار» و«طيف السعادة» و«الطائش» و«التنافر» وغيرها... وهى سطحية التكوين النفسى للشخصيات وبعيدة عن المشاكل الجادة.

ومن الدرامات التى تمتلك حساسية مؤثرة مثل «قصة بسيطة» و «عدو نفسه» و «الدوامة» و «الضحية» و «الأنانى» وغيرها... للكاتب «إيبوليت فاسيليفتش شباجينسكى» (١٨٤٨ - ١٩١٧م).

وفى أوائل القرن العشرين حاول «سيرجى أليكسندروفيتش نايدينوف» (١٨٢٨ - ١٩٢٢م) أن يتبع تقاليد «إستروفسكى» المسرحية فكتب «أبناء فانيوشين (١٩٠١م) وحققت نجاحاً لا بأس به حيث صور فيها تفاهة وسط التجار المحدودى التفكير...

وفى نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين ظهرت مسرحيات «أليكسندر إيفانوفيتش سومباتوف يوجين» (١٨٥٧ -١٩٢٧م) التى امتازت بالشخصيات الواضحة ومهارة البناء مثل «العادات العريقة» (١٨٩٥م) و«الجنتلمان» (١٨٩٧م) و «الخيانة» (١٩٠٣م).

أما مسرحيات «فلاديمير إيفا نوفيتش نيمير وفيتش دانتشينكو» (١٨٥٨ - ١٩٤٣م) فقد توفرت على القضايا الحيوية الواقعية: ففيها

صور حياة المثقفين الروس «الإرادة الأخيرة» (١٨٨٨م) و «العمل الجديد» (١٨٩٠ م) و «الذهب» (١٨٩٥ م) و «ثمن الحياة» (١٨٩٦م).

هذا وقد انعكس المزاج الثورى للعصر فى المسرحيات المبكرة للكاتب : «يفيجين نيكولا ينفتش تشيريكوف» (١٨٦٤ - ١٩٣٢م) مثل «اليهود» (١٩٠٤م) : و«القرويون» (١٩٠٧م).

والحلقة الهامة فى تطور الدراما الروسية كانت مسرحيات للكاتب «ليف نيكولاينفتش تولستوى (١٨٢٨ - ١٩١٠م) : فقد تناول فى مسرحياته العيوب الاجتماعية وفضحها ودافع عن الإنسانية فى قالب اجتماعى فلسفى . . .

وتعتبر «سلطان الظلام» هى العمل المعبر الحقيقى عن الشعب الروسى ؛ فبقدرة فنية كبيرة ؛ بل وبصدق وتبصر صور «تولستوى» عملية التحول الرأسمالى للريف والعاقبة التراجيدية لتوغل علاقات الملاك فى حياة الفلاحين ، وفى كوميديا «ثمار الاستنارة» (١٨٩١م) سخر وتهكم من النبلاء المتطفلين عدماء النفع ، ومن فقرهم الروحى . . وكذلك الثرثرة الفارغة للعلماء البرجوازيين الكذابين ، كما فضح فى مسرحية «العمل البسيط» (١٩١١م) النفاق والكذب فى المجتمع المعاصر ، وكذلك سخر من قانون المرافعات الملفق الكاذب ، ويتحدث النقاد عن أن وضوح الدوافع الخفية والأسباب الحقيقية لسلوك الأبطال

فى هذا العمل يرجع إلى ما يسمونه بـ «الواقعية المتبصرة» لدى «تولستوى».

وكانت هذه الخصائص لدرامات «تولستوى» لها أكبر الأثر فى تطور الدراما الاجتماعية النفسية، إذ أنها دفعتها خطوة فى تطويرها على مشارف القرن العشرين ونلمح الدليل المؤكد لذلك فى إنتاج «أنطون بابلوفيتش تشيخوف» (١٨٦٠ - ١٩٠٤م).

إن درامات تشيخوف تستوعب فى تضاعيفها مكتسبات الواقعية الروسية.. ومع ذلك فهى فريدة وخطوة مجددة فى تطوير الدراما الروسية.. اتجه (تشيخوف) إلى القضايا والمشاكل المعاصرة الهامة بعد مسرحياته المبتهجة ذات الفصل الواحد وأيضاً الفودفيل أى بعد «الدب» (١٨٨٨م) و«طلب زواج» (١٨٨٨م) و«العرس» (١٨٨٩م) و«اليوبيل» (١٨٩١م) و«فى دراما إيفانوف» (١٨٨٧م) تناول «تشيخوف» الإفلاس الروحى للمثقفين الليبراليين فى زمن الرجعية السياسية فى ثمانينيات القرن التاسع عشر.

كما نرى أفكار الكاتب عن مستقبل الفن الروسى ورسالة الفنان، وعن الواجب الأخلاقى أمام نفسه وأمام الناس فى مسرحية «طائر البحر».. وفى الحقيقة أن «تشيخوف» جسّد فى هذه المسرحية مفهوماً جديداً ومركباً وأكثر عمقاً ومعاصرة عن الصدق الفنى المسرحى، فخلق دراما من طراز جديد، والصراع فى «طائر البحر» مبنى على أساس اجتماعى عما يعوق تطور الحرية الفردية... والحرية المادية...

والداخلية والحرية الروحية للناس .

وتعتبر مسرحيات « تشيخوف » فى تاريخ الدراما الروسية من أوائل المسرحيات التى تشكل المناظر الطبيعية فيها والظروف جزءاً من الأحداث وأحد مركباته ، حيث يتخلق جو محدد ، وتنكشف أفكار المؤلف ويستضىء العالم الداخلى لكل شخصية .

ولقد أبرز « تشيخوف » شاعرية الأمور الاعتيادية اليومية غير الملحوظة ويتكشف المعنى العام الحقيقى الكامن منحدراً بغتة من خلال كلمات عادية سواء فى جواب أو ملاحظة تأتى مصادفة . . هذا الأسلوب سرعان ما اكتسب تسمية : « المعنى الباطن » و« تيار الأعماق » . .

ومسرحية « الخال فانيا » (١٨٩٧م) تكشف حياة المثقفين الروس الظامئين لعمل خلاق سديد . . ويقوم بناؤها على تشابك الحوار والاستعارات والمعنى الباطنى . وتدوى مسرحية « الشقيقات الثلاث » (١٩٠٨م) بالاحتجاج ضد الابتذال وضيق الأفق والخمول الفكرى واللامبالاة . . وقد خلق المؤلف أبطالاً فى مستقبل السعادة الإنسانية .

وعلى مشارف استيقاظ المجتمع المتلاحم مع الأحداث المقبلة لعام (١٩٠٥م) ظهرت فى أعمال « تشيخوف » موضوعات وشخصيات جديدة : ففى مسرحية « بستان الكرز » (١٩٠٤م) نجد على الرغم من تصويره لتدهور الإقطاع والنبلاء – أنه خلق شخصية الطالب « بيتى تروفيموف » الذى يثق بإخلاص فى قدوم حياة أخرى غير هذه . . لكن

بطال « تشيخوف » عاجزون عن النضال والمنازلة وهم موجودون لأنهم ضحايا للظروف .

أما « مكسيم أليكسى مكسيمو فيتش جوركى » (١٨٦٨-١٩٣٦م) فيعتبر الناطق بلسان الواقعية الجديدة المجسد لأفكار وقضايا وشخصيات مرحلة تحرير روسيا : فمسرحياته الخلاقة ، والقدرة الإنسانية الغالبة فيها كفلت لها الاستمرار على مر الزمن :

فى مسرحية « البرجوازيين » (١٩٠٢م) كشف « جوركى » حتمية سقوط المجتمع القديم واستنكر بلاهوادة ضيق التفكير وعلاقة المهادنة والمصالحة مع الحياة . . وقد أثارت مسرحية « الحضيض » (١٩٠٢م) قضايا سياسية ماسة ، وفلسفية واجتماعية ملحة ، إذ كشفت الجوهر المخيف لقاع المدينة الرأسمالية ورفضت الكذب والوهم ، ودافعت عن الإنسان فى الحرية والعمل . . أما مسرحيتا « المصطافون » (١٩٠٤م) و « أبناء الشمس » (١٩٠٥م) فتحكيان عن مصير المثقفين الروس وبعض النظام الرأسمالى ومسرحية « الأعداء » التى منعتها الرقابة فى روسيا - مشبعة بكم من الحقد للنظام الرأسمالى .

الدراما الروسية ما بين ثورتين

فى السنوات العشرة ما بين الثورتين اتسمت الدراما الروسية بالتناقض والتعقيد بل وبمزاج متدهور منحط . . يتسم بالذعر أمام المستقبل وتلاشى الطموح والعدول عن الأفكار التحررية وانعكس ذلك على الدراما فى هذه السنوات :

ويمكن القول بأن دراما هذه المرحلة تتسم بالتشاؤم والتدهور . وأنها أيضاً بعيدة عن أهم قضايا العصر ، إلا أنه قد ظهرت مسرحيات واجهت هذا الاتجاه .مثل مسرحيات « مكسيم .جوركى » الجديدة « الآخر » (١٩٠٨م) و « فاسا جيلز نوفا » .

ومن أوائل هذه مسرحيات هذه السنوات كتب (ا . ن لونتشارسكى) « الحلاق الملوكى » (١٩٠٦م) وفى عام (١٩١٣م) ظهرت تراجيديا « فلا ديمير فلاديميروفيتش » مايا كوفسكى (١٨٩٣م) باسم (فلاديمير مايا كوفسكى) مبشرة بعصر جديد .

والدراما الروسية على امتداد طريق تطورها كانت تعكس البحث الفلسفى والأخلاقى لأحسن البشر فى روسيا ، وأفصحت عن الأفكار الديمقراطية الإنسانية بل وكانت كشفاً ملتهبا لدروب الحرية ولتطوير الشخصية وأفكار الحياة . . وتأكيداً للكرامة الإنسانية .

وبقيام ثورة (١٩١٧م) دخلت الدراما الروسية مرحلة جديدة تحت التسمية التى جمعت جمهورية روسيا مع سائر جمهوريات اتحاد السوفييتى ، وأصبحت تسمى « الدراما السوفييتية » وهذا ليس بموضوع الكتيب الذى بين أيدينا .

رقم الإيداع	١٩٧٩ / ٤٩٧٥
الترقيم الدولى	ISBN ٩٧٧ - ٢٤٧ - ٨٥٤ - ٤

١ / ٧٩ / ١٩٩

طبع بمطابع دار المعارف (ج. م. ع.)